

بمناسبة ذكرى الأندلس الإسلامية

رثاء الأندلس

على

السنة شعرائها



اختيار وتحقيق وتقديم

الدكتور ظهیر أحمد زهر

الأستاذ بقسم اللغة العربية - جامعة بنجاب

الطبعة الأولى

١٩٩٢ م — ١٤٠٢ هـ

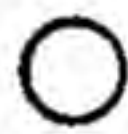
من مطبوعات: المطبعات العربية الباكستانية

بمناسبة ذكرى الأندلس الإسلامية

رثاء الأندلس

على

السنة شعرائها



اختيار وتحقيق وتقديم

الدكتور ظهير أحمد راضي

الأستاذ بقسم اللغة العربية - جامعة بنجاب

الطبعة الأولى

١٩٩٢ م — ١٤١٢ هـ

من مطبوعات دار المجمع العربي الباكستاني

فهرس الكتاب

رقم الصفحة

الموضوع

.....	المقدمة
.....	وقال أبو عامر ابن شهيد الأندلس يهكى قرطبة ويرثى أهلها
.....	وقال الإمام ابن حزم يندب قرطبة نثراً وشعراً
.....	وقال الفقيه ابن العسال يهكى برشتر
.....	وقال بعضهم يهكى قرطبة
.....	وقال الآخر في نفس المعنى
.....	وقال أبو إسحاق ابن خفاجة الأندلس يندب بلنسية
.....	وقال الأستاذ أبو عبدالله محمد بن عبد الرحمن البلنسى
.....	وقال أبو المطرف ابن عميرة يهكى بلنسية ويرثى أهلها
.....	ومن رثاء بلنسية قول ابن الأبار البلنسى
.....	ومن رثاء طليطلة قول ابن العسال اليحصبي
.....	ومن ذلك قول بعضهم يندب طليطلة ويرثى أهلها
.....	وقال ابن حمديس الصقلى يرثى ابن عباد الإشبلى
.....	ومن ذلك قصيدة ابن عبد الصمد يهكى على قبر ابن عباد الإشبلى
.....	ومن روائع المراثى الأندلسية قول ابن عبدون اليابرى
.....	قصيدة أبى البقاء الرندى فى رثاء الأندلس
.....	وقال بعضهم يرثى المدن الأندلسية
.....	ميمية ابن العربى العقيلى فى رثاء غرناطة
.....	ومن رثاء غرناطة قول الشيخ الدقون
.....	وقال بعضهم يندب المسلمين المضطهدين بعد سقوط غرناطة ويستغيث
.....	بالسلطان أمير المؤمنين بايزيد خان العثمانى

المقدمة

هذا هو عام الأندلس الإسلامية على ما أعلنته الأمة الإسلامية - شعوباً وحكومات ومنظمات على نطاق عالمي شامل - فقد مضت أو كادت أن تمضي خمسة قرون على نهاية الحكم الإسلامي في الأندلس وسقوط دولة غرناطة الناصرية على أيدي الأفرنج وجلاء المسلمين عن الأندلس نهائياً، وذلك قبل قليل من نهاية القرن الخامس عشر الميلادي وقد كان ذلك حدثاً فظيعاً وخسارة كبيرة ليس للإسلام وحده بل للعرب الحضاري البشري كذلك وهنا ما جعل العالم البشري عامة والعالم العربي الإسلامي خاصة يجدد ذكرى الحكم الإسلامي في الأندلس وما تركه من آثار ثقافية وحضارية مجيدة في التاريخ البشري عامة وتاريخ أوروبا خاصة والتاريخ الإسلامي على وجه أخص.

وتجديداً لذكرى الأندلس الإسلامية وتخليداً لأمجادها الفاخرة وتقديراً لخدماتها الجبارة في تقدم العلوم والآداب ورفق الثقافة والحضارة في أوروبا النائمة الغافلة في وقتها فإننا نقدم هذه المجموعة المتواضعة من رثاء الأندلس الإسلامية على السنة شعرائها لكي تكون موعظة وذكرى وتعزية وسلوى لكل قلب نبيل عطوف سليم.

إن هذه المجموعة المتواضعة إن مثلت شيئاً فإنما تمثل مآسى أمة كانت قد قامت بدورها البناء وأفادت ونفعت الخلق ثم لاقت نهايتها المؤلمة المؤسفة على أيدي أعداء الحضارة والعلم في وقتهم من الجهلة القساة المتعصبين كما أنها تمثل مصير أمة كانت قد نسيت أو تناست نواويس القدرة الربانية وسنة الله في خلقه من دولة الأيام بين الناس وأن الوحدة حياة وأن الانقسام ممات «وأن تلك الأيام نداولها بين الناس»!

وقد دخل الإسلام وأهله إلى الأندلس قبل نهاية القرن الهجري الأول (في بداية القرن الميلادي الثامن) ثم تم جلاء المسلمين عنها بعد ثمانية قرون وذلك قبل نهاية القرن الخامس عشر الميلادي (في النصف الأخير من القرن الهجري التاسع) والواقع أن تاريخ الإسلام والمسلمين في تلك البقعة من القارة الأوربية منذ الفتح الإسلامي إلى جلاء المسلمين عن الأندلس نهائياً، قد كان أكبر مأساة وأفظعها قد عرفها التاريخ الإسلامي على اختلاف الأماكن والبلدان التي دخلها الإسلام والمسلمون منذ فجر الحراء إلى يومنا هذا.

إن هذه المأساة التاريخية لمأساة درامية بحوادثها المتتالية ووقائعها التلقائية بمعنى الكلمة فإن الستار يرفع فيبدأ الفصل الأول من هذه المأساة الإسلامية الكبرى بالفتح الإسلامي للأندلس على يد القائد الإسلامي الفذ طارق بن زياد البربري وسيدته موسى بن نصير - رحمهما الله تعالى - وينتهي هذا الفصل الأول أيضا بنهاية مؤسفة مؤلمة جدا حيث نرى أن جبال برانس تسد المد الإسلامي وتحول دون زحف الجيوش الإسلامية المجاهدة أولا ثم تقف الأقدار في سبيل ما كان يعتزم عليه القائدان الإسلاميان طارق وموسى من استمرار الزحف المقدس إلى أعماق أوروبا في مشارقها ومغاربها فيتم القبض على طارق فيما قبل أو يباغتهما الأمر الرسمي من الخليفة بالسفر إلى دمشق حيث يقابلان مقابلة سيئة ثم يلاقيان نهايتهما المؤلمة على أيدي الزمان الغادر وأبنائه القساة الظالمين!

وأما الفصل الثاني بمشاهده الطويلة المتنوعة فهو يبدأ بدخول صقر قرش عبد الرحمن بن معاوية الأموي الداخل إلى الأندلس وتغلبه على الأمراء والزعماء من العرب والبربر المتقاتلين المتناحرين وقهره لمعارضتهم له ثم سيطرته الكاملة على بلاد الأندلس كلها ثم يستمر هذا الفصل ويتطور بمشاهده المتنوعة الرائعة حتى ينتهى بنهاية الخلافة الأموية في الأندلس ثم تتعدد الفصول ويختلف أبطالها من ابن أبي عامر وحروبه مع معارضيه وأعدائه وانتصاراته عليهم جميعا إلى دول ملوك الطوائف في ربوع الأندلس المختلفة ثم دولة المرابطين ثم دولة الموحدين وأخيرا الدولة الناصرية في غرناطة وسقوطها على أيدي الأفرنج وأما الفصل النهائي والأخير من هذه المأساة الإسلامية الكبرى فهو جلاء المسلمين (وليس جلاء الإسلام كما ظن الأفرنج ويظن الناس!!) عن الأندلس ثم تشريدهم وطردهم واضطهادهم على أيدي الكنيسة المسيحية ومحاكمها التفتيشية الظالمة القاسية وأغرب الأشياء وأهولها أن كل فصل من بين هذه الفصول المتعددة المتنوعة ينتهى كمأساة جديدة مستقلة فكان مأساة الأندلس ليست بمأساة واحدة ذات فصول متعددة وإنما هي عبارة عن مآسي متعددة مختلفة تتشابه وتتلو بعضها البعض وتنضم إلى مأساة كبرى هي تاريخ الإسلام والمسلمين في الأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى جلاء المسلمين عنها نهائيا!

ولكن هذه المأساة الكبرى رغم هولها الشديد وخسائرها الفاضحة، تنفرد في انتهاجها العلمي والأدبي كما أنها تمتاز بالكثير من الجوانب الحضارية والثقافية التي تبقى خالدة على وجه الزمان ولن تزال تتلأأ في جبين التاريخ تلاكؤ النجوم في كبد السماء إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

إن دور المسلمين الأندلسيين في خدمة العربية وآدابها ونهضة الحضارة الأوربية وتقديمها حقيقة

ناصعة لا يمكن إنكارها أو تجاهلها فلولا المسلمون الأندلسيون لما ورثت العربية آدابها المجيدة الواسعة وعلومها الرائعة الجمعة ولتأخرت النهضة الأوربية الحديثة كما أنهم لو مكثوا في الأندلس حاكمين لها واستمروا بها في خدمة العلم والثقافة والحضارة لاستنارت أوروبا القديمة النائمة المظلمة في أقل وقت وأسرع ولتعجلت نهضتها الحديثة ولتسارع الموكب الحضاري الذي يبهز العيون اليوم وهذا ليس ادعاء كاذبا أو كلاما فارغا، وإنما هي حقيقة ملموسة يعترف بها الباحثون المسلمون والأجانب على السواء، هؤلاء الباحثون العادلون المنصفون الذين تناولوا تاريخ المسلمين الأندلسيين وذورهم البناء المشرقي خدمة الثقافة والحضارة لبلاد الأندلس خاصة ولبلاد أوروبا النائمة في وقتها على وجه عام فهذا هو المؤرخ العلامة والأديب النابغة الأستاذ أحمد حسن الزيات المصري يعلق على دور المسلمين الأندلسيين ومكانتهم في التاريخ الثقافي والحضاري قائلا:

«ولو طال على الأندلسيين الأمد في خدمة الحضارة وتعاقبت أطوار الرقي على اللغة وآدابها، لأتوا بأبلغ مما جاء به روسو وهوجو ولامرتين وأضرابهم ولكن فاجأهم الانقسام وأهمهم الخصام فتصدعت عصاهم وانقضت عراهم ونضبت قرائنهم وامحلت عقولهم وذهبوا كأمس الدابر سنة الله في خلقه ولن نجد لسنة الله تبديلا»

وأما ما قاله دوزي المؤرخ الأسباني العلامة وما أشاد به الأستاذ حتى وغيرهما من علماء أوروبا المنصفون والمستشرقون الأفاضل فذلك كثير جدا ومعلوم متعارف بين الناس ولسنا في حاجة إلى إعادته وتكراره.

ومما لا شك فيه ولا ريب أن زوال الأندلس الإسلامية يرجع إلى ما كانت قد أصيبت به منذ فتحها على المسلمين، وهو داء المعاداة والخلاقات ومرض التشاجر والتناحر من أجل الوصول إلى كرسى الحكم أو الإبعاد عنه، والفرقة العنصرية وعيش اللهو، وقد استغل العدو المتريص الدوائر بالإسلام والمسلمين هذا الوضع المتقلقل والفوضى الداخلي استغلالا شاملا، فجعل يضرب البعض ببعض ويحرك الدمى من وراء الستائر والحجب، ولعلماء الأندلس ورجال الدين مؤلفات خاصة بانحلال الأندلس الإسلامية وزوالها وانقراض دولتها ومنهم الشيخ أبو يحيى بن عاصم صاحب الشرح على تحفة أبيه الذي ألف كتابا عن ذلك وسماه (جنة الرضى في التسليم لما قدر الله وقضى) وهو كتاب عجيب جد غريب على حد تعبير أحمد المقري الذي رآه بتلمسان ونقل منه بعض النصوص ومنها قوله :

«من استقرأ التواريخ المنصوصة وأخبار الملوك المقصوصة علم أن النصاري دمرهم الله لم يدركوا

فى المسلمين ثأرا ولم يرحضوا عن أنفسهم عابرا ولم يخرّبوا من الجزيرة منازل وديارا ولم يستولوا عليها بلادا جامعة وأمصارا إلا بعد تمكينهم لأسباب الخلاف واجتهادهم فى وقوع الافتراق بين المسلمين والاختلاف ...»

وأما الآداب العربية الواسعة والعلوم الإسلامية الجمّة التى أنتجتها عباقره الأندلس الإسلامية خلال الفصول المتعددة المتنوعة من تلك المأساة الكبرى شعراً ونثراً فهى متنوعة الأطراف والجوانب ومتعددة الأنواع والأقسام إنها لأحداثا تاريخية رائعة مروعة تهز النفوس وتبكيها وتشير العواطف وتهيجها ومن ذلك رثاء الأندلس على السنة شعرانها.

إن هذه المراثى العربية الأندلسية نوع مستقل بين المراثى العربية الكثيرة المتنوعة من الخنساء إلى شعراء مأساة بيروت الفلسطينية اليوم تلك المراثى التى تزخر بها المكتبة العربية على اختلاف الأزمنة والأقاليم والدول والعهود، إلا أن هذا النوع المستقل من الرثاء العربى هو رثاء المدن المفقودة والبلاد المحتلة والدول الساقطة على أيدي الأعداء الذين قهروها وتغلبوا على أهلها فدخلوها ونهبوها ودمروها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وتلك هى سنة الله فى خلقه عبر العصور والأحقاب على أرضه المعمورة ولن نجد لسنة الله تبديلاً !

نعم إن هذا النوع من الرثاء العربى نوع مستقل ونادر فى الوقت نفسه وعلى الأقل فى الآداب العربية القديمة فبينما يوجد الكثير منه فى الأدب العربى الأندلسى قلما نجد فى الآداب العربية الشرقية القديمة فإذا استثنينا منه ما قاله بعض الشعراء فى الملوك الساقطين أو الأسر المالكة الهالكة فإننا لن نجد رثاء المدن والبلاد الساقطة المفقودة فى الشرق العربى الإسلامى إلا قليلاً نادراً جداً وذلك مثل ما قاله بعضهم عن مدينة السلام بغداد :

لسائل الدمع عن بغداد أخبار	فما وقوفك والأجباب قد ساروا
يا زائرين إلى الزوراء لا تغدوا	فما بذلك الحسى والدار ديار
تاج الخلافة والربع الذى شرفت	به المعسالم قد عفاه إقفار
لعطف البلى فى ريعه أئسر	وللدموع على الآثار آثار

فقد سقط تاج الخلافة العباسية على أيدي الطاغية المغولى الذى دمر مدينة السلام وخرّبها وقتل أهلها وجعلهم أذلة ولكن لم يبك على بغداد وعلى أهلها شاعر رغم أن سقوط الدولة العباسية قد كان كارثة كبرى بالنسبة إلى الأمة الإسلامية والحضارة البشرية وقد غيرت مجرى التاريخ حتى أنه لم يعد

للمسلمين مركز ركين بأوون إليه ولم يعد للخلافة الإسلامية مكان في أرض الله تستقر فيه، وقد كان من حق بغداد ومن واجب أهلها من الشعراء خاصة والشعراء المسلمين عامة أن يموتوا حزنا وبكاء على مدينة السلام ولكننا لم نسمع بصوت ارتفع راثياً باكياً على سقوط مدينة السلام وخرابها كأن لم يحدث شيء بالنسبة إلى هؤلاء الشعراء، المتفنتين المتكسبين بشعرهم فقد بخلوا على مدينة السلام بغداد حتى بقطرات دموعهم ولم يوفق منهم أحد في رثائها إلا ما شاء الله من أمثال الشيخ مصلح الدين السعدي الشيرازي من شعراء الفارسية والذي بكى على بغداد وعلى ضياع ملك أمير المؤمنين المستعصم بالله العباسي، فهو الوحيد الذي قام بواجبه حق قيام نحو مدينة السلام وعرض عما فات الشعراء العرب من حق بغداد عليهم فيا للأسف ويا للخسارة! لم يشعر أحد بما خسرت الأمة الإسلامية في وقتها! ورحم الله إقبال الذي يقول:

داني نا کامی متاع کاروان جاتسارها کاروان کی دل سی احساس زبان جاتارها

ومعناه: يا له من هزيمة! فقد خسرت القافلة متاعها لا بل أكبر هزيمة وأهولها هي أن قلوب القافلة قد فقدت الشعور بهذه الخسارة الفادحة الهائلة!

إن هذا النوع من الرثاء يوجد له نظائر في الشعر الأردی فمن أجود المراثی الأردیة وأروعها ما قاله الميرزا (داغ) الدهلوی وهو يرثي مدينة (دهلي) حين سقطت على أيدي الإنجليز أو ما قاله تلميذ (داغ) العلامة محمد إقبال وهو يرثي صقلية العربية الإسلامية وذلك حين عاد من أوربا بعد إكمال الدراسات العليا بها فقد مر على متن السفينة البحرية بساحل صقلية فألقى نظرة عابرة على الجزيرة ومشاهدها الطبيعية الجميلة ومناظرها الخلابة فإذا به يتذكر العرب المسلمين الذين حكموا الجزيرة إلى العديد من القرون وتركوا بها آثار مجيدة وذكريات خالدة فهيجت نفس الشاعر وعواطفه الإسلامية ومشاعره الإنسانية النبيلة وإذا به يبكي على الحضارة العربية الإسلامية بها وقد أسهبنا الحديث عن ذلك في كتابنا نظرة على رثاء صقلية، باللغة الأردیة.

ومن مرثية إقبال هذه التي رثي بها صقلية قطعة يخاطب بها صقلية العروبة والإسلام وآثارها الخالدة المجيدة وهي أيضا تدل على معلومات إقبال عن آداب اللغات الإسلامية مثل العربية والفارسية والأردیة بالإضافة إلى اهتمام الشاعر بتراث الإسلام وماضيه المجيد ومجده السليب والقطعة وترجمتها كما يلي:

نالہ کش شیراز کا بلبل ہوا بغداد پر داغ رویا خون کی آنسو جہان آباد پر
 آسمان نی دولت غرناطہ جب بریاد کسی ابن بدرون کی دل ناشاد نی فریاد کسی
 غم نصیب اقبال کو بخشا کیما تم سرا چن لیا تقدیر نی وہ دل کہ تھا محرم ترا

وترجمتها: «إن بلبل شیراز (مصلح الدین السعدی) کان قد بکی علی بغداد ودمارها کما أن الشاعر (داغ) الدهلوی کان قد سكب دموع الدم علی مدینة جهان آباد (ای دلهی) وخرابها ، وأما ابن بدرون (یقصد ابن عبدون الیابری وابن بدرون هو شارح قصیدة ابن عبدون هذا ولم یکن شاعرا) فقد استصرخ من أعماق قلبه الحزین حین دمرت السماء غرناطه وأنت علی دولتها الناصریة :
 أما أنت یا أرض صقلیة فإن البكاء علیك والرثاء لك کان قد قدر فی لوح المقادیر لإقبال البائس الحزین وذلك لأن الأقدار قد اختارت قلبا عطوفا کان قد أدرك مصابك العظیم المؤلم» .

ولكن هذا النوع من الرثاء - رثاء المدن الساقطة المدمرة علی أیدی الأعداء أو تلك التي أصابها آفات طبیعیة أو مكتسبة بانقسام أهلها وخلاقاتهم فأتت علیها أو جرت علیها ویلاً عظیماً مما جعلها خراباً وصیرتها موعظة وذكری للغابریں ، إن هذا النوع من الرثاء لقلیل جداً فی تاریخ شعرنا العربی علی اختلاف الأقالیم والأمصاّر والعهود والأعصار، وأیضا قلما نجد ذلك فی آداب اللغات الأخری غیر العربیة فیما نعلم، وأما مأساة الأندلس الإسلامیة فقد تركت تأثيرا فوق المتصور فی نفوس أهلها من العلماء والأدباء والشعراء وأصیبت البلاد بهزات عسکریة وسیاسیة عنیفة وضربات قاضیة من الداخل والخارج ، فمرة من قبل الأعداء المتآمرین الذین كانوا یتریصون بها الدوائر ، وأخری من قبل أهلها الذین كانوا یتقاتلون ویتناحرون وبعادی بعضهم البعض دائماً .

إن هذه الهزات والضربات وما تلاها من الأهوال والمهالك قد أنطقت الشعراء وجعلتهم یقولون تلك القصائد المحزنة المبکیة التي قد أبکت - ولا ولن تزال تبکی - الأجيال المسلمة القادمة طوال العصور علی ذلك المصاب المخزى الأليم والخسارة الفادحة الکبری من سقوط الأندلس الإسلامیة وتدمیرها علی أیدی هؤلاء الجهلة المتعصبین الأغبیاء .

إن الدولة الأمویة الأندلسیة قد كانت صرحاً شامخاً من العلم والحضارة والمجد والفخار وكفاك شاهداً علی ذلك ما تركته من الآثار الخالدة علی أرض أسبانيا وفی صفحات التاریخ وما وصفه الباحثون وقدروه حق تقدیر ولكن القضاء علیها كانت خسارة کبری لیس للإسلام وحده بل للبشریة کلها ، لا شک أن من الأسباب التي قوضت بناء هذه الدولة قد کان من بینها الفرقة العصبیة بأنواعها

والمطامع الشخصية والمغامرات الفردية مع سلطان اللهو وعيش البذخ والإسراف ولكن السبب الأساسي الأصل هو ما كان يديره العدو ويترصد الدوائر فقد كان انهيار الخلافة الأموية الأندلسية في أواخر القرن الرابع الهجري نذيراً بالنهاية المؤسفة المحتومة حيث أخذت الأمة الإسلامية الأندلسية تتقلب في المعارك الدامية والمحن الطاحنة وقامت دول الطوائف الصغيرة المفككة على أنقاض تلك الدولة العظيمة الشامخة ولم تستطع هذه الدول الطائفية ولا التي تلتها من المرابطية والموحدية والناصرية أن تقف في وجه السيل الجارف من الضغط المسيحي والاعتداء الأفرنجي الذي تمكن أخيراً من القضاء على دولة الإسلام الشامخة وحضارته اللامعة ومدنيته الفاخرة وتراثه الغالي من المكتبات الزاخرة جواهر العلوم ولائها، تلك التي ستبقى غرة فاخرة في جبين التاريخ الإسلامي وسبة وعارا في جباه الأفرنج المتعصبين الأغبياء وسيبقى عليها أجيال البشر وتندبها إلى آخر الدهر!

إن أول هزة أصيبت بها الأندلس الإسلامية هي ما تسمى بفتنة البربر والتي هزت قرطبة عاصمة الدولة الأموية وصرح الحضارة الإسلامية المتنورة في وقتها وقد كان من آثار هذه الفتنة التخريب والدمار الذي أصيبت بها مدينة قرطبة على أيدي أدعياء الإسلام نفسه ولكن أكبر خسارة وأهولها هي انفكاك قواعد النهضة العلمية والأدبية وانهدامها .

ومن أبشع ما تركته هذه الفتنة هو نهب المساجد وتحريقها على أيدي هؤلاء الأدعياء الذين يشبهون في قساوتهم وغبائهم هؤلاء القرويين من شرقى الهند والذين نهبوا عاصمة (دهلي) ودمروها وقد ذكرهم وصورفطائعهم الشاعر الأردوي الميرزا داغ الدهلوي رحمه الله فيما رثى به عاصمة الإسلام في شبه القارة.

هذا ما أصاب المدن الإسلامية الأندلسية بين حين وآخر على أيدي المسلمين أنفسهم ولكنه يختلف كثيراً عما أصابها على أيدي جهلة الأفرنج وأغبيائهم ويكفي أن نقتبس هنا ما قاله أحد الأوربيين أنفسهم معلقاً على الخسارة التي تكبدها الأسبان على أيديهم بالقضاء على الحكم الإسلامي والحضارة الإسلامية في الأندلس وهو الأستاذ (ستانلي) الذي يقول : « لكن الأسبان لم يدركوا أنهم قتلوا الإوزة التي كانت تبيض بيضة من ذهب كل يوم، فقد بقيت أسبانيا قروناً تحت الحكم العربي وهي مركز المدنية والثقافة ومنبع العلوم والفنون والآداب وقبلة العلماء والطلاب المتوافدين ومصباح الهداية والنور ولم تصل أية مملكة في أوروبا إلى ما يقرب منها في ثقافتها وحضارتها ولم يبلغ عصر فرديناند وإيزابلا المتلاكى ، ولا امبراطورية شارلمان الخامس، الأوج الذي بلغه

المسلمون في الأندلس ولقد بقيت حضارة المسلمين إلى حين خروجهم من أسبانيا وضاعة لامعة ولكن ضومها كان يشبه ضوء القمر الذي يستعير نوره من الشمس ثم عقب ذلك كسوف قد بقيت أسبانيا بعد ذلك تتعثر في الظلام؛ وإنا لنحس فضل العرب وعظم آثار مجدهم عندما نرى الأراضي في أسبانيا مهجورة قاحلة تلك التي كانت أيام المسلمين جنات تجري من تحتها الأنهار تزدهر بما فيها من الكروم والزيتون وسنابل القمح الذهبية ، وعندما نتذكر تلك التي كانت في العصور العربية ماثجة عامرة بالعلم والعلماء ، وعندما نحس بهذا الركود العام الذي ساد بعد تلك الرفعة والازدهار...»

وأما مراثي المدن والبلاد الإسلامية في الأندلس فهي بطبيعة الحال تنقسم إلى القسمين لأن الدمار والخراب الذي أصيبت بها الأندلس وعم بلادها في الفترات المختلفة تنقسم أيضا إلى القسمين كما مر بنا آنفا وقد كان أحد هذين القسمين هو نتيجة الاعتداء الأفرنجي مرة بعد أخرى و أما القسم الثاني من الدمار والخراب أو القتل والنهب فيرجع إلى ما جره المسلمون بأيديهم على أنفسهم فقد كانت المدن عامرة هادئة والحياة بها رغيدة آمنة وفي قمتهامدينة قرطبة عاصمة الأمويين بالأندلس، وظل الشعب المسلم الأندلسي يعيش في ظل العدل والسلام ويغمره الترف والرزق الحسن إلى أن أصيب بداء يصيب الشعوب دائما إذا بطرت معيشتها وبلغ الترف مبلغ البذخ والإسراف وتحول هدفها من الشرف والمجد إلى عيش اللهو والتحاسد والتحاقد الذي يعقبه الشر والفساد والتفرقة والخراب وذلك ما أصيبت به قرطبة العاصمة وتلتها المدن والبلاد الأخرى وبذلك ذهبت ريح الأمة الإسلامية الأندلسية وفتحت عليها أبواب الفتن وقرود عدوها الأفرنجي الذي كان يترصد بها الدوائر فاجترأ على التكالب عليها وأخذ يكبل لها الضربات واحدة تلو الأخرى حتى جاءت ضربته القاضية الحاسمة فأنت على الدولة الناصرية الغرناطية وبذلك انتهى الحكم الإسلامي في الأندلس .

ومن غريب الأمر أن هذين النوعين من الدمار والخراب قد أنتج كل واحد منهما نوعا مستقلا ممتازا من المراثي للمدن الأندلسية التي تكثر ويطول ذكرها وتتسع دائرتها وهذان القسمان المستقلان من رثاء المدن الأندلسية يتفقان في الحياكة أو الأسلوب اللفظي ولكنهما يختلفان في التعبير العاطفي أو الأسلوب المعنوي، وبعبارة أخرى إن موقف الشعراء الأندلسيين وعواطفهم نحو كل قسم من هذين القسمين للحوادث والكوارث التي جرت الويل على الشعب المسلم الأندلسي وخربت المدن ودمرت الديار تختلف اختلافا واضحا فبينما نرى الشعراء الأندلسيين، الذين يتناولون رثاء المدن التي يرجع دمارها وخرابها إلى الفتن الداخلية وعلى أيدي الفئات المسلمة المتناحرة، يتخذون موقف الناصح

التأسف والهاکی الحزن المتعاطف فيختارون أسلوبا معنويا كله ألم وتأسف وحسرة مع دعوات خالصة لوحدة الكلمة وانسجام الخطوة إلى أمل ورجاء. فی عوددة المباء إلى مجاريها ولكننا نراهم فی الوقت نفسه يرثون المدن والبلاد التي دمرها الأفرنج المعتدون بأسلوب يملأه الغيظ والغضب والحزن المرير والألم الشديد مع العويل والبكاء على العز المذال والمجد السليب والتحرير والحث على الجهاد والنصرة للإسلام والمسلمين ومعاينة العدو الفاشم والتنكيل به وهذا الفارق أو الاختلاف فی الأسلوبين أمر طبيعي وواضح لا يحتاج إلى دليل.

إن القسم الأول من رثاء المدن التي أصابها الدمار والخراب على أيدي المسلمين أنفسهم فهو قليل نادر ولا يتجاوز القصيدتين أو الثلاث ومنها رثاء قرطبة وإشبيلية وصاحبها ورثاء بطليوس وأصحابها ورثاء بطليوس وأصحابها وإشبيلية وصاحبها موضع آخر يأتي بعد حديثنا عن رثاء قرطبة عاصمة صقر قريش عبد الرحمن الداخل وحفيد أحفاده عبد الرحمن الناصر لدين الله وابنه الحكم المستنصر، تلك المدينة الجميلة الحافلة التي كانت آمنة بعدل القضاء والحكام وعامرة بعلم العلماء والمفكرين وذخيرة بمكتباتها المزدهمة وحضارتها الفاخرة وأناقته الباهرة... تلك العاصمة الجميلة الحافلة والمدينة العامرة الآمنة قد أصيبت بفتنة البربر بعد أن ضعفت الخلافة الأموية الأندلسية وتفككت وأخذت الدولة العامرية طريقها إلى الانحطاط والزوال وعمت العلاقات الطائفية والعنصرية بين المسلمين من أهل قرطبة، فذاك مما سببت وأثارت الفتنة البربرية الكبرى وهي التي فتحت أبواب الفتن والكوارث على الأمة الإسلامية الأندلسية وذهبت بها ريحها وشجعت النصارى على الزحف والهجوم على المدن الإسلامية وهي التي لم تترك مجالا لعودة المباء إلى مجاريها وحتى أن الأندلس الإسلامية لم تستطع أن تستقر وتهدأ بعدها بمعنى الكلمة رغم المحاولات المرابطة والموحدية التي امتدت إلى قرون، تلك الفتنة الكبرى والكارثة العظمى جعلت الشعراء يبيكون على قرطبة ويرثونها رثاء حزينا مبكيا!

وأول قصيدة في رثاء قرطبة وهي أيضا القصيدة الأولى من بين القصائد المختارة في رثاء المدن الأندلسية على السنة شعرائها والتي تضمها مجموعتنا المختارة هذه هي قصيدة قالها أبو عامر أحمد بن عبد الملك ابن شهيد المتوفى سنة ٤٢٦هـ وهو يبكي على تفرق الجماعة وتمزقها ودمار المدينة وخرابها وذهاب الأحبة وفقداهم ويتأسف على الجنة التي أقفرت وعلى النعيم الذي زال حيث يقول:

يا جنة عصفت بها وبأهلها ريح النوى فتدمرت وتدمروا
آسى عليك من المات وحق لى إذ لم نزل بك فى حياتك نفخر

كانت عراصك للميم مـكـة ياوى إليها الخائفون فينصردوا
يا منزلاً نزلت به رباهـم طير النوى فتغيروا وتنكروا

والقصيدة الثانية فى رثاء قرطبة من مجموعتنا هذه هى رائية الفقيه الأديب أبى محمد أحمد بن على ابن حزم الظاهرى ابن وزير آل عامرالأكبر ويسبق القصيدة رثاء نثرى رائع تضمه المجموعة مع رائية ابن حزم الرائعة التى تجمع بين جمال اللفظ وحسن المعنى.

إن ما حل بقرطبة من الكارثة وما أصابها من الدمار قد زعزع بنيان الحكم الإسلامى فى الأندلس وذهبت به ريح الأمة الإسلامية وشجع العدو المترص بالدوائر على الزحف والهجوم على البلاد والمدن الإسلامية فى الأندلس فبدأت سلسلة من الكوارث وقد انتهت بجلاء المسلمين عن الأندلس نهائياً ، وقد كانت أولى تلك الكوارث وأكبرها هولاً وهلعاً هى كارثة مدينة (بريشتر) تلك التى هزت الأندلس كلها وأثرت فى نفوس المسلمين أبعد تأثير والتى جعلت محدث الأندلس وفقهائها الحافظ ابن عبد البر يصدر منشوراً على لسان أهل بريشتر ويقول منبها ومستنهضا أمة الإسلام بذلك:

«فإنا خاطبناكم مستنفرين وكاتبناكم مستغيثين وأجفاننا قرحي وأكبادنا جرحي ونفوسنا منطبقة وقلوبنا محترقة... فلو رأيتم معشر المسلمين إخوانكم فى الدين وقد غلبوا على الأموال والأهلين واستحكمت فيهم السيوف واستولت عليهم الحتوف وأثخنتم الجراح وعبثت بهم زرق الرماح وقد كثر الضجيج والعيول ودمائهم على أقدامهم تسيل سيل المطر بكل سبيل ورؤسهم قدامهم تطير ولا مغيث ولا مجير، وقد صمت الأذان بصراخ الصبيان ونباح النسوان وبكاء الولدان وعلت الأصوات وفشت المنكرات... وما ظنكم معشر المسلمين وقد سبقت النساء والولدان ما بين عارية وعريان قوداً بالنواص إلى كل مكان طورا على المتون وطورا على البطون مقرنين بالجبال مصفدين فى السلاسل والأغلال مقتادين فى الشعور والسبال إن استرحموا لم يرحموا وإن استطعموا لم يطعموا وإن استسقوا لم يسقوا وقد طاشت أحلامهم وذهلت أوهامهم ... فىا ويلاه ويا ذلاه ... ويا قرآناه ... ويا محمداه ... »

وهذه الكارثة الكبرى والنازلة الأولى والمصاب الأليم الفظيع هو الذى أثار مشاعر العالم الأديب والفقيه الزاهد ابن العسال فقال همزته المعروفة وندب بها مدينة بريشتر وأهلها ، وصور آلامهم أصدق تصوير وأحسنه وهى قصيدة تضمها هذه المجموعة المختارة وهى أولى المراثي التى قيلت عن المدن الأندلسية الإسلامية التى سقطت على أيدي الأفرنج فدمروها وجعلوا أعزة أهلها أذلة.

وأما القصيدة التي تستحق أن تحتل المكانة الأولى بين تلك القصائد التي قيلت في رثاء الأندلس الإسلامية على ألسنة شعرائها فهي القصيدة الفريدة الغراء التي جادت بها قريحة الشاعر الوزير أبي محمد ابن عبدون اليابري والتي تحتل مكان الصدارة والقمة الفنية بين المراثي الأندلسية المحزنة المبكية وقد نالت إعجاب الناس في عصره وفيما بعده من العصور وقد سارت بها الركبان وعاشت على وجه الزمان وهي قصيدة رائية قد سهاها مؤلفها (كرامة الزهر وصدفة الدرر) وقد تناقلها الرواة وتداولها المنشدون واستحسنها الأئمة الناقدون في الشرق والغرب واختارها المختارون واقتناها المقتنون وقد قام بشرحها أديب الأندلس ومحدثها وخطيبها في وقته العلامة ابن بدرون وقد سها به : « شرح قصيدة ابن عبدون » وهو شرح لطيف ممتع يدل على غزارة العلم وقوة الذاكرة وبراعة المؤلف المتفنن وقد طبع هذا الشرح في مدريد.

ولا يبدأ ابن عبدون قصيدته هذه بوصف الطلول المقفرة أو البكاء المحزن علي ديار الحبيبة المهجورة الخربة فذلك من بلاغة القدم ودأب القدماء من شعراء الجاهلية والإسلام وإنما يبدأ ابن عبدون حديثه المؤلم المفجع بذكر الدهر الغادر الخون الذي يفجع البشر بنوازل المفاجئة الهائلة وآفاته الغائلة الهالكة فيعدهم ويجعل منهم أثرا بعد ما كانوا عينا فكان دنيانا هذه ونحن فيها صور وأشباح لا حقيقة لها ولا أصل إذن فلا حزن ولا بكاء على شيء من هذه الصور والأشباح

وتحتوي رائية ابن عبدون على خمسة وسبعين بيتاً وتنقسم أو قل إننا نستطيع أن نقسمها إلى أربعة مقاطع : فأما المقطع الأول وهو أيضا مطلع القصيدة فهو يخص الدهر القاسي الغادر المتلاعب بحفظ الإنسان المسكين وجدوده كما أنه يحوى موعظة وتذكيرا للبشر ينبههم على أن يكونوا دائما على وعي ويقظة فلا تغرهم دنياهم وبهجتها وأن لا يأمنوا شر الليالي وصروفها.

وفي المقطع الثاني ينتقل الشاعر إلي عبر الدهر وغيره وتصرفه وتمكنه من القضاء على دولة بعد أخرى قد أنشأها البشر على اختلاف الأزمنة والأماكن فوق هذه المعمورة منذ أبينا آدم إلى اليوم الذي قتل فيه ممدوح الشاعر وابناه ومضى ابن عبدون بذكر الدول الماضية البائدة فيبدأ بدولة (دارا) الكبير أمبراطور فارس وقاتله الإسكندر اليوناني وينتهي بدولة بني الأفطس أصحاب بطليوس بالأندلس وبطبيعة الحال هذا المقطع الشعري من القصيدة هو أطول المقاطع وأصعبها على فهم القارئ إذ يأتي ابن عبدون بإشارات موهمة غامضة أشد الغموض وتلميحاً بعيدة خفية أشد الخفاء وذلك مما جعل القصيدة ألباساً أو معميات وعلى القارئ أن يفك هذه الألباس والمعميات أو يتيه بين غوامض القصيدة وخفاياها، وهنا يتجلى ابن عبدون المؤرخ العلامة والشاعر المتفنن وهنا يلعب فنه وبراعته وعبقريته النادرة.

وأما المقطع الثالث فهو يخص رثاء ممدوحيه وأولياء نعمته المقتولين من بنى الأفطس أصحاب مملكة بطليوس وما إليها من ملوك الطوائف بالأندلس ، كما أن المقطع الرابع والأخير وهو أقصر المقاطع من القصيدة يحتوي على ما يدعيه الشاعر من جمال قصيده وحسن نظمه من حيث التفوق على غيره من الشعراء . القدامى والمحدثين ويتنبأ بالحوادث المنتظرة من انتشار قصيدته الرائية وإعجاب الناس بها وإقبالهم عليها وفيه شيء من الافتخار والتعلي الذي لا يخلو من المبالغة والعجب كما لا يخفى .

وأسلوب ابن عبدون الشعري من نسيج اللفظ وابتكار المعنى إنما هو أسلوب شاعر بليغ قادر على التعبير المعنوي والحياسة اللفظية وهو يجمع بين حسن اللفظ وجمال المعنى كما أنه لا يخلو من تعقيد اللفظ وغموض المعنى وإنه لأسلوب شعري يذكرنا بأسلوب الشعر العربي الرصين عند الشعراء المحدثين في العصرين الأموي والعباسي من أمثال جرير والفرزدق والمتنبي وأبى تمام وأضرابهم كما أنه يمثل العقلية الشعرية الأندلسية التي تنفرد بالاهتمام والإعجاب بالشرق العربي الإسلامي وإهمال المغرب العربي الأندلسي في كل ما تنتج أو تبتكره أو تؤلفه دائماً ، فبينما نرى ابن عبدون يلفز بالحوادث التاريخية في الشرق الإسلامي فيما نظمه من الأبيات الشعرية للمقطع الثاني الطويل من القصيدة نراه يهمل أحداث التاريخ الإسلامي في الأندلس رغم أنه مليء بالحوادث التاريخية الدرامية الرائعة كما أنه حافل بالعبر والمواعظ المؤثرة الأخاذة إذ هو أكبر مأساة في تاريخنا الإسلامي على اختلاف الأقاليم والعصور .

وأما بنو الأفطس أصحاب بطليوس فقد كان مؤسس دولتهم وباني مجدهم هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله المتلقب بالمظفر والمعروف بابن الأفطس وقد كان هذا الرجل العظيم من أحرص الناس على اقتناء الكتب النادرة وقد ألف كتاب «التاريخ المظفر» في خمسين مجلداً على غرار عيون الأخبار لأبى محمد ابن قتيبة وقد كانت أيام بنى المظفر بمغرب الأندلس أعياداً ومواسم وكانوا ملجأ لأهل الآداب خلدت فيهم ولهم قصائد شادت بمآثرهم وأبقت على غابر الدهر حميد ذكرهم كما صرح به المراكشي في المعجب .

وأما صاحب هذه القصيدة الفريدة الغراء فهو أديب الأندلس وشاعرها العلامة أبو محمد عبد المجيد ابن عبدون اليابري الكاتب الوزير ذو الوزارتين ، وكان مولده ووفاته في مدينة يابرة وكان عمر المتوكل على الله ابن المظفر صاحب مملكة بطليوس من ملوك الطوائف قد استوزره ولم يزل يخدمه في

منصبه إلى أن دالت دولتهم وانقرضت مدتهم في ٤٨٥هـ على أيدى المرابطين فانتقل إلى خدمتهم وكان من الكتاب المترسلين بالأندلس ومن علماء التاريخ والحديث بها وقد أفاده علمه بالتاريخ في قصيدته الرائعة الرائعة التي ترجمت إلى الفرنسية والأسبانية وقد قام بشرحها غير واحد من العلماء الأفاضل ومنهم العلامة ابن بدرون رحمه الله.

وقد كان ابن عبدون الباهري آية في الحفظ والذاكرة حتى قيل إن أيسر محفوظاته كتاب الأغاني ورغم هذه الفطنة والذكاء والحفظ والذاكرة وجودة القريحة قد كان غاية في التواضع والبساطة مع الوقار والاحترام ويروى له حكايات ونوادر في ذلك قد سجل البعض منها صاحب المعجب .

ورغم غزارة الأدب ونباهة القدر قد كان من الشعراء المقلين ولم يثبت له من الشعر إلا النزر اليسير، وكان قد تتلمذ على كبار الأساتذة في فنون العربية وآدابها من أمثال أبي الوليد ابن ضابط النحوي الشاعر المستجدي بشعره وقد حكى ابن عبدون عن نفسه بأنه كان بين يدي مؤدبه يوما وسنه إذ ذاك ثلاث عشرة سنة فعن للمؤدب أن قال: «الشعر خطة خسف» وجعل يردد هذا القول فكتب ابن عبدون في لوحه مجيزا لمؤدبه: «لكل طالب عرف» ثم خطرله بيت ثان وهو:

للشيخ عيبة عيبه وللقتى ظرف ظرفا

فنظر إليه المؤدب فقال له: يا عبد المجيد ما الذي تكتب فأراه اللوح فلما رآه لطمه وعرك أذنه وقال له: لا تشتغل بهذا، وكتب البيتين عنده
ومن جيد شعره على غرار المتنبي قوله :-

ولا أصالح أيامي على دخن ليس النفاق إلى خلقى بمنسوب

يا دهر إن توسع الأحرار مظلمة فاستثنى إن غيلى غير مقروب

ولا تخل أننى ألقاك منفردا إن القناعة جيش غير مغلوبا

وتتلوها القصيدة الجميلة التي قالها ابن حمديس الصقلى والتي رثى بها الملك الشاعر المعتمد ابن عباد الإشبيلي من ملوك الطوائف وصاحب مملكة إشبيلية بعد سقوطها على أيدي المرابطين والقبض على ابن عباد ونقله عبر البحر وسجنه بمدينة أغمات ومن سجنها بعث ابن عباد قصيدة يستجوب بها ابن حمديس فأجابه بهذه القصيدة الرائعة وكان ابن عباد قد استهل قصيدته بقوله :-

غريب بأرض المغربين أسير سبيكى عليه منبر وسرير

فأجابه ابن حمديس الصقلي فاستهل قصيدته بقوله:

جوى بك جدًا بالكرام عشور
وجار زمان كنت فيه تجيسر
وفيها يقول لابن عباد:

أغر الأسارى أن يقال محمد
غرب بأرض المغربين أسير ١٩

ورثاء ابن حمديس لولى نعمته وصديقه ابن عباد لا يساوى رثاء ابن عبدون لولى نعمته ابن الأقطس المتوكل إلا أنه ملئ بشدة الحزن واللوعة وفى نفس الوقت يحمل رسالة التأميل والتفاؤل والتسلية والعزاء كما أنه يصور المبالغة الشعرية حين يقول ابن حمديس:

ولما رحلت بالندى فى أكفكم
وقلقل رضوى منكم وثبير
رفعت لسانى بالقيامة قد أتت
ألا فانظروا هذى الجبال تسير

وابن حمديس هو عبد الجبار ابن حمديس الصقلي المولود بجزيرة صقلية والمتوفى فى سنة ٥٣٧هـ بمدينة ميورقة وقد عاش حقبة بمسقط رأسه مخمولا ثم هاجر إلى الأندلس حتى اتصل بالمعتمد الإشبيلي الملك الشاعر ومأوى الأدباء والشعراء فاشتهر ابن حمديس وطار صيته وأخذ يتقلب فى النعم والترف ويمتاز شعره بعفة اللفظ ونبيل الفكرة مع كثرة الوعظ والزهد فى الدنيا والشكوى من الناس والثورة على النفس.

إن هذا النوع من الرثاء - رثاء الملوك الساقطين والأسر المالكة الهالكة - وإن كان لا يتصل بهدفنا ولا يهمنا كثيرا فى هذه المجموعة ولكننا ما دمنا قد اخترنا رائية ابن عبدون الرائعة فى بنى الأقطس أصحاب بظليوس وألحقنا بها رائية ابن حمديس الرائعة فى المعتمد ابن عباد، إذن فلا بد لنا أن نضم إلى المجموعة دالية ابن عبد الصمد الجياشة بالعواطف والدموع وأن نقف وقفة قصيرة عند ابن عباد الملك الشاعر المشفق على الشعراء والأدباء لكى نلقى نظرة حتى ولو عابرة على مأساة الدولة العبادية وتاج مفرقها المعتمد ابن عباد الملك الشاعر أو الشاعر الملك.

إن نكبتى برشتر ويلنسية قد كانتا من أكبر النكبات الأندلسية وأهولها بعد إنهيار الدولة الأموية ودمار عاصمتها قرطبة وأما رابع النكبات الأندلسية الكبرى فهى نكبة الدول الطائفية الأندلسية وإنهيارها وخاصة دولة بنى عباد أصحاب مملكة إشبيلية وما إليها من المدن والحصون وعلى وجه أخص سقوط المعتمد ومصيره المؤلم الذى أبكى أصدقاء الثلاثة من الشعراء الفطاحل فندبوه ورثوه وأوفوا له حقه وهم ابن حمديس الصقلي وابن اللبونة وابن عبد الصمد.

إن الدارس الجاد والناقد البصير للرثاء العربي الأندلسي يقف مندهشاً عندما يرى أن رثاء المدن والحوضر الأندلسية لا يساوى ما قبل في رثاء البعض من الملوك الساقطين لدول الطوائف وخاصة ما قاله الشعراء الثلاثة في المعتمد ابن عباد ويرجع ذلك إلى ثلاثة أسباب:

أولها - أن نكبات قرطبة وبريشتر وبلنسية لم تجد شاعراً من الفحول يتأثر بها أو لعل ما قاله البعض منهم قد ضاع ولم يصل إلينا إلا مثل أبيات ابن خفاجة عن نكبة بلنسية ،ومن المعلوم أن الشاعر لا يقول كما أن الأديب لا يكتب إلا ما يتأثر به فيؤثر في المجتمع بما يقول أو يكتب .وأما نكبة دول الطوائف أو سقوطها فقد تأثر بها الفطاحل من الشعراء من أمثال ابن عبدون وابن حمديس وابن عبد الصمد وأضرابهم وذلك مما أنطقهم وجعلهم يبكون على ذلك المصائب ويندبون المنكوبين؛

والسبب الثاني هو أن ملوك الطوائف عامة وملوك بني الأفطس خاصة وملوك بني عباد على وجه أخص كانوا يهتمون بالشعراء أبلغ اهتمام ويعنون بهم أكبر عناية وكانوا ينفقون عليهم من خزائنها بلا حساب مع الشفقة عليهم والإكرام لهم، وأما المعتمد فقد كان في قمة الشعر كما أنه كان في قمة المروءة والبطولة حتى إنه لو اكتفى بمروءته ويطولته وقصر جهوده وما كان يملكه من الذكاء والكفاءة والدهاء والعبقريّة على بناء الدولة والمجتمع لكفى فقد كان بإمكانه أن يعوض الأندلس عما فاتها بفقد الناصر لدين الله وابن أبي عامر وغيرهما من الساسة الدهاة والعباقرة الزعماء في الأندلس الإسلامية

على الكل فإن سقوط صاحب القصور الفاخرة (من الزاهي والمبارك والوحيد) والملك الشاعر المشفق على الشعراء قد كان حدثاً مأساوياً وكارثة كبرى بالنسبة إلى شعراء بلاطه وأصدقائه الأوفياء له من أمثال ابن حمديس وابن اللبونة وابن عبد الصمد

وأما السبب الثالث في رأينا فهو أن الغزو المرابطي لم يكن هدماً ودماراً وإنما كان بناءً وانقاذاً بالنسبة إلى مسلمي الأندلس فلم يعن شاعر برثاء المدن وإنما عني البعض منهم برثاء أولياء النعمة لهم المنكوبين والأعزة الذين ذلوا بتداول الأيام بين الناس فبكوا عليهم وندبوهم وأبدعوا في رثائهم وعلى رأس هؤلاء الساقطين المنكوبين ابن عباد الذي تعارن على البر مع المسلمين الأندلسيين ومع الغزاة الفاتحين ولم يكن له ذنب غير كفايته وأوصافه البطولية وأكبر الدليل على ذلك أن المرابطين لم يستطيعوا أن يحاكموه أو يعاقبوه بين يدي الشعب الأندلسي المسلم فقد عوقب المعتمد بلا ذنب ومات مظلوماً في سجن أغمات في سنة ٤٨٨ هـ

وقد سرد لسان الدين ابن الخطيب في أعمال الأعلام قصة القبض على ابن عباد وسفره إلى العدو مكبولا ثم سجنه وموته في أغصات فقال:

« وفي يوم الأحد لعشر بقين من رجب فتحت المدينة فوق النهب وفر أهلها إلى المحلة وخرج ابن عباد وابنه مالك ، فقتل مالك بين يديه وكوثر المعتمد فأغمد سيفه وانصرف إلى القصر ملقبا بيده ، ووقع البريع بكف الأيدي ثم أخرج المعتمد فغرب مكبولا مزال العز ، مسلوب الملك بعد أن جرت عليه أهوال وتلفت بنته يوم الخروج ثم جبرت عليه بعد ذلك واستقر بأغصات واقتات من غزل بناته وجرت عليه خطوب شهيرة يهون سماعها مصائب الزمان وحوادث الحداث »

وقد كان من حسن حظ المعتمد أن الشعراء القطا حل الثلاثة الذين زينوا بلاطه وتلقوا منه ما تمنوه من الصلة والجائزة قد أوفوا له الحق وثبتوا على صداقته واستمروا على صلة به يمدحونه ويجاوبونه في سجنه ثم بكوا على موته وندبوه . وقد كان أوفى الثلاثة حقا وأكثرهم حزنا عليه هو ابن اللبونة صاحب كتاب سقيط الدرر ولقيط الزهر في الدولة العبادية والملقب بسمول الشعراء في الرثاء . العربي الأندلسي وهو الذي يندب ابن عباد فيقول:

انفض يدبك من الدنيا وساكنها فالأرض قد أقفرت والناس قد ماتوا

وقل لعالمها السفلى قد كستمت سريرة العالم العلوي أغصات

وأما دالية أبي بكر ابن عبد الصمد فهي من عيون الشعر العربي وغرة الرثاء الأندلسي وهي مليئة جياشة بالعواطف الحزينة والمشاعر الكثيبة فقد زار صاحبها قبر المعتمد في أغصات يوم العيد فطاف بالقبر والتزمه ثم خر على ترابه فلقمه وبكى فأبكى وذاب فأذاب ثم أنشد داليتة المشهورة هذه التي سارت بها الركبان وعاشت على وجه الزمان.

وقد كانت مدينة بلنسية أكثر المدن الأندلسية الإسلامية محنة ومصابا فقد أصيبت بالنكبات أكثر من مرة وقد ابتليت بثالث النكبات العدوانية الملمة بها وذلك بعد نكبة قرطبة على أيدي الفتنة البربرية ومدينة (بريشتر) على أيدي النورمان المعتدين ، أما النكبة الأولى التي منبت بها بلنسية فهي استيلاء السيد القمبيطور المغامر في ٤٨٧ هـ فقد احتل هذا المغامر المفسد مدينة بلنسية بعد حصار دام طويلا وقد استمر احتلاله لها إلى ٤٩٥ هـ حين استرجعها أمير المسلمين يوسف بن تاشفين المرابطي وقد شهد الفقيه أبو عبد الرحمن ابن طاهر البلنسي محنة بلنسية على يد السيد القمبيطور فوصف حالها في بعض ما كتبه عن المحنة فقال:

«فلو رأيت قطر بلنسية نظر الله إليه وغاد بنوره عليه وما صنع الزمان به وبأهليه لكنت تندبه وتبكيه فقد عبث البلى برسومه وعدا على أقماره ولجومه فلا تسأل عما فى نفسى وعن نكدى وبأسى».

وكان الشاعر الأندلسي إبراهيم ابن خفاجة المولود بمدينة شقرا والمتوفى بها فى سنة ٥٣٣هـ شاعر الجمال الطبيعى الفاتن وصاحب الخيال البديع الذى يعتبر إماما ورائداً لشعر الطبيعة عند الأفرنج فى آدابهم جميعاً. قد تأثر بالكارثة الكبرى والنكبة الأولى التى منبت بها مدينة بلنسية فانشد رائيته البديعة ورثى بها محنة المدينة ونكبة أهلها قائلاً: «وعاثت بساحتك الظبى يا دار الخ» وأما النكبة الأخيرة وأبشع الكوارث التى ألمت بتلك المدينة البائسة فهى التى أصابتها على أيدى الأفرنج المعتدين فى سنة ٦٣٠هـ حين استولى عليها ملك أرغون صلحا بعد أخذ الشروط ولكنه خالفها ونقض العهد فحل عتابه بالمدينة وأهلها فبكى عليها الأدباء والعلماء والشعراء ومنهم أبو عبد الله ابن الأبار والكاتب أبو المطرف ابن عميرة فقد رثيا كلاهما مصاب بلنسية شعراً ونشراً فمن ذلكم ما قاله ابن عميرة فى رسالة إلى ابن الأبار:

«فيا لله لأتراب درجوا وأصحاب عن الأوطان خرجوا قصت الأجنحة وقيل طيروا وإنما هو القتل أو الأسر أو تسبروا قتفروا أيدى سبا وانتشروا ملء الوهاد والريا ففى كل جانب عويل وزفرة، وبكل صدر غليل وحسرة، ولكل عين عبرة ولا ترقأ من أجلها عبرة»

وقد رثى أبو المطرف ابن عميرة ذلك المصاب شعراً أيضاً فأنشد رائيته وقد سجلها الحميرى فى الروض المعطار كما رثاه ابن الأبار بسينيته المعروفة فى حضرة ملك فاس وكلتا القصيدتين تضحهما هذه المجموعة المختارة من رثاء الأندلس على السنة شعرائها.

وأما أشهر القصائد فى مجموعتنا المختارة هذه التى تشتمل على مراثى الأندلس المحزنة المبكية فهى قصيدة أبى البقاء الرندى الأندلسي رحمه الله تعالى، وأصله من رندة، وقد كانت معقلا حصينا بين إشبيلية ومالقة وهو أحد الحصنين فى تلك المنطقة من الأندلس الإسلامية وقد كان أحد الحصنين يسمى برندة والثانى مارتلة وكانا تحت حكم بني عباد وآخرهم الملك الشاعر المتعمد ابن عباد صاحب مملكة إشبيلية من ملوك الطوائف.

وأما أبو البقاء الرندى الأندلسي فهو الإمام العالم والأديب العلامة والشاعر المفلق المتفنن صالح بن الشريف ويكنى أيضاً بأبى الطيب وله كتاب مؤلف فى الفرائض وقد شرحه الطبيب الماهر الشهير

أبو محمد ضياء الدين عبد الله بن أحمد ابن البيطار المالقي المتوفى في ٨٩١هـ.

ولأبي البقاء الرندي شعر رصين غير نونيته المعروفة في رثاء المدن الأندلسية وقد روى بعض شعره أحمد المقرئ في نفع الطيب فمن ذلك قوله في البحر يشبه فيه حبيب البحر الأزرق بشهب السماء الزرقاء حين تبدو وتغيب وهو من أحسن ما قيل في هذا المعنى :

البحر أعظم مما أنت تحسبه من لم ير البحر يوما ما رأى العجبا
طام له حبيب طاف على زرق مثل السماء إذا ما ملئت شهبا
وله في مدح العقل والعقل:

ما أحسن العقل وآثاره لو لازم الإنسان إيثاره
يصون بالعقل الفتى نفسه كما يصنون الحر أسراره
لا سيما إن كان في غربة يحتاج أن يعرف مقداره
وله في المقص:

ومصطحين ما أنما بعثق وإن وصفا بضم واعتنق
لعمر أيبك ما اجتماعا لشيء سوى معنى القطيعة والفرق

وأما ترجمة أبي البقاء الرندي المفصلة المبسطة فإننا لم نعثر عليها وحتى مولد الشاعر ووفاته إلا أننا نرجح أن يكون قد عاش في أخريات الحكم الموحد في الأندلس وقبيل إنشاء الدولة الناصرية بغرناطة الجميلة وذلك لأسباب أهمها:

(١) يصرح أبو البقاء في نونيته بأن العدو قد أخذ اشبيلية واحتلها حيث يقول وهو يعد المدن التي سقطت في أيدي الأفرنج:

فاسل بنسبة ما شأن مرسية وأين شاطبة أم أين جيان؟
وأين قرطبة دار العلوم فكهم من عالم قد سما فيها له شأن؟
وأين حمص وما تحويه من نزه ونهرها العذب فياض وملآن؟

(٢) ومنها أن أبا البقاء يخاطب ملكا من ملوك الإسلام في الشرق كما يخاطب المسلمين الآمنين بديارهم في الشرق الإسلامي حيث يقول:

يا أيها الملك البيضاء رابت أدرك بسيفك أهل الكفر لا كانوا

ترى من هو الملك المخاطب في هذا البيت؟ أهو أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اللمتوني؟

والجواب لا وذلك لأن الشكاوى التى حملها علماء الأندلس ومسلموها إلى أمير المسلمين لم يكن فى حاجة إلى تحريض الشعراء على الإغاثة والجهاد وإنما كفاه أن تستغيثه أمة الإسلام فيغيثهم دون أى تأخير أو تماطل.

(٣) ومنها أن أحمد المقرئ بصرح فى مفتتح نونية أبى البقاء بأن الذين ناداهم المسلمون الأندلسيون فى الشرق الإسلامى سواء كانوا ملوك الإسلام أو أمته لم يكونوا أهل النصرة والإغاثة فلنستمع إليه حين يقول المقرئ وهو يفتتح نونية أبى البقاء الرندى الأندلس بقوله :

«ولله در الإمام العالم العلامة خاتمة أدياء الأندلس أبى الطيب صالح بن الشريف الرندى رحمه الله إذ قال يندب بلاد الأندلس (ولم يقل إنه يندب غرناطة) ويبعث العزائم ويحركها من أهل الإسلام لنصرة الدين وإنقاذ البلاد من يد الكافرين (ولم يقل من يد ملوك الطوائف الكافرين) ولسان الحال ينشده: لقد أسمعت لو ناديت حياً وحاشا وكلا أن يقال هذا الكلام لأمر المسلمين»

(٤) ومنها أن المقرئ بصرح عند إنشاده نونية أبى البقاء الرندى فى نفح الطيب قائلاً بأن الناس قد زادوا أبيات منحولة فى النونية والتى قيلت بعد سقوط غرناطة فهى ليست من نونية أبى البقاء وأنه قد نقل القصيدة عن يوثق به ولم توجد فيها تلك الزيادة.

فإذا تعين أن الملك المخاطب بهذه النونية لم يكن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وأيضاً إذا اتضح بأن إشبيلة لم يكن الكفار قد أخذوها حين أغاث أمير المسلمين لأهل الأندلس وإنما كانت إشبيلة آنذاك عاصمة أقوى ملوك الطوائف وأعندهم وهو المعتمد ابن عباد وكذلك إذا تعين أن هذه النونية لم تكن قد نظمت عقب سقوط غرناطة فقد اتضح جلياً وتعين بأنها كانت قد قيلت فى نهاية الحكم الموحدى فى الأندلس وقبيل إنشاء الدولة الناصرية بغرناطة وأن الملك المخاطب بها قد يمكن أن يكون ملك فاس الذى استغاثه ابن الأبار وابن العربى العقيل فى قصيدتيهما كما سير بنا وبذلك كله غلب الظن أن يكون أبو البقاء الرندى حياً فى القرن السابع الهجرى وفى نهاية الحكم الموحدى فى الأندلس. وأما نونية الرندى رحمه الله فهى من أجمل الشعر العربى الأندلسى وأروعها كما أنها أجود مرثية بكى بها شاعر عربى على بلاده المفضوة ومجد أسلافه السليب وستبقى طغراء لثناء الأندلس الإسلامية على السنة شعرائها وقد سجلها الكثيرون من أصحاب التراجم والسير والتاريخ وقد حفظها المسلمون المهاجرون من الأندلس ورووها لأجيالهم الناشئة وقد اختارها الكثيرون من مؤلفى المقررات الدراسية والكتب المنهجية فى العالم العربى الإسلامى وقد اشتهر بعض أبياتها على السنة العامة

والخاصة وصارت كأنها أمثالا سائرة تتناقلها الأفواه وتتلقها الأسماع وتشتهبها الأذواق جيلا بعد جيل!

ويرجع ذلك كله إلى ما تمتاز به نونية أبي البقاء الرندي من جزالة اللفظ وسهولته وغزارة المعنى ودقته بالإضافة إلى صدق تعبير وحسن حياكة مع الموسيقى الشعرية الناعمة الأخاذة والأسلوب السهل المعتنق الذي ينسجم اللفظ فيه بالمعنى بشكل يرغب القارئ بالحاح في القراءة المستمرة للقصيدة ويجعل السامع مأخوذا مسحورا يحب الاستماع إلى المنشد، إنها لكلمات سهلة متداولة تستأنس بها السامعة ولكنها قد ركبت تركيبا هندسيا بارعا بديعا تستلذها السامعة وتحلو لها حين تعبر عن العواطف الصادقة والأخيلة الدقيقة والمعاني الرائعة تستأسر النفوس وتؤثر في القلوب وتستعد لها الذاكرة قبل أن تستلذها اللسان.

وتبدأ القصيدة بمطلع يعجب السامع فيستوقفه ويملأ أذنه بصوت محزن حكيم يعظه ويأمره وينهاه قائلا:

لكل شئ إذا ما تم نقصان فلا يغرب بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول من سره زمن ساءته أزمان

وتحوى نونية الرندي خمسة وأربعين بيتا في المشهور فالأبيات الخمسة الأولى تكون مقطعا شعريا كله عبر ومواعظ وحكم وبصائر للبشر جميعا ينصح لهم الشاعر بأن لا يغفروا بالدنيا وبهجتها ولا يأمنوا على كيد الزمان وبطشه فهو يفاجئ ابن آدم المسكين المخدوع دائما فيأتي عليه وعلى كل ما يمتلكه أو يتمناه أو يعلق به.

ثم نرى أبا البقاء يتتبع ابن عبدون في رائيته المشهورة التي درسناها آنفا فيصف الدول الماضية التي أنشأها البشر فأقرها الدهر لحظات ثم هدمها وأتى عليها فأصبحت تسببا منسيا وكأن لم يكن شيئا مذكورا ثم يتحول الشاعر إلى ما أصيب به الإسلام وأهله في الأندلس فيصور الآلام والنكبات والمصائب والآفات تصويرا مؤلما حزينا ويحكي الفظائع الرهيبة التي ارتكبتها أهل الصليب ضد المسلمين فكالوا لهم الضربات الشديدة المهلكة المخزية من القتل والنهب والسبي والدمار وهتك الأعراض ثم يخاطب أهل الإسلام فيحرضهم على نصره الدين وإنقاذ الأندلس الإسلامية من أيدي الأفرنج ولكن لسان الحال يرد على الشاعر قائلا «لقد أسمعت لو ناديت حيا» على حد تعبير أحمد المقرئ رحمه الله «تنتهي» القصيدة ببيت هو بيت القصيد وحسن الخاتمة ومراد الشاعر ويبدو وكأنه

قد ذاب قلبه ويريد أن يذهب قلوب المؤمنين قائلا:

لمثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان

ومن بين مراثي الأندلس الإسلامية على السنة شعرائها قصيدة رائية لشاعر مجهول يندب بها مدينة طليطلة الإسلامية التي كان العدو قد احتلها فجعل أعزة أهلها أذلة وهي قصيدة غير قصيرة ولا تخلو من متانة اللفظ وبداعة الحياكة إلى دقة المعنى وابتكاره وندرة الخيال وبراعته مع لون واضح من ألوان ابن عهود وأبي البقاء الرندي في قصيدتيهما الفريدتين.

وبصور الشاعر أبعاد الطامة الكبرى والمصيبة العظمى التي غيرت الظروف وأفسدت الأحوال ويقارن بين أمس طليطلة وحالها وعيش أهلها الرغيد بالأمس وسوء حال اليوم ويحرض المسلمين على الجهاد ويأمرهم بالاجتناب من الجبن والتخاذل وأغرب ما نراه في القصيدة هو ما جعل الشاعر ينصف على دأب الشعراء العرب في الجاهلية والإسلام فيصرح بأن تلك المصيبة العظمى إنما هي نكير من الله وتنبيه للمسلمين وجزاء عادل من القدرة والقضاء لأعمالهم السيئة التي اقترفوها:

فإن قلنا العقوبة أدركتهم	وجاءهم من الله النكير
فأنا مثلهم وأشد منهم	لجور وكيف يسلم من يجور
أنأمن أن يحل بنا انتقام	وفينا الفسق أجمع والفجور
وأكل للحرام ولا اضطرار	إليه فيسهل الأمر الصبر

وقصيدة همزية في هذه المجموعة لشاعر مجهول ولكنها في منتهى الروعة والجمال وتعبر عن مشاعر أهل الأندلس المكتوبين وتحرض الملك الحفصى على الجهاد ونصرة الدين الإسلامى وإنقاذ المسلمين من براثن الأفرنج الطفافة وذلك مما جعلنا نختار القصيدة لتضمها مجموعتنا هذه ومطلعها (والمخاطب فيها هو الملك الحفصى عبد الواحد أبو زكريا ابن أبى حفص):

نادتك أندلس قلب نداء ها واجعل طواغيت الصليب فداه

والشاعر يخاطب الملك باسم الأندلس الإسلامية التي هي دار ملكه القصوى وهي تفرع إليه وتستغيثه وقد ضمن لها نصره ورعايته فيجب عليه الآن أن ينهض لنصرتها والذود عنها والحماية لها لأن جيشه الإسلامى هو جيش من خيل جرد قد أعدت للجهاد فى سبيل الله وللذود عن حياض الإسلام وبلاد المسلمين فهؤلاء الفرسان المجاهدون يستطيعون أن يقضوا على طواغيت النصارى المعتدين على مدينة بلنسية وينقذوها من براثن العدو لكى تستعيد الأندلس ما فقدت من الأمن

والسلام وما حرمت منه من العز والشرف والرخاء.

ولا يكتفى الشاعر بتحريض الملك وحده وإنما يحرض الأمة الإسلامية على الجهاد كذلك ويخاطبهم باسم الشعب المسلم الأندلسي الذي يتضرع إليهم ويستغيثهم ويهتف باسمهم ويناديهم بقلوب واجفة ونفوس حزينة على ما أصيب به ، وفي نفس الوقت يبحث الشاعر لنفسه عن العزاء والسلوى بذلك المصاب العظيم من الاعتداء الأفرنجي الغاشم الذي سلب حقوقه وسامه الذل والهوان. ثم يتحول الشاعر إلى موضوع آخر فيذكر الملك بالمعاهد العلمية والمدارس والمساجد التي احتلها العدو المعتدى كما أنه يذكره بما امتازت به الأندلس من المناظر الطبيعية الرائعة والحقول العامرة الخضراء والأودية الحافلة والجبال الشاهقة والعيون المتدفقة التي تملأ القلب روعة وإعجاباً.

وينهى الشاعر قصيدته الطويلة بالاعتراف بعجزه عن التعبير الصادق عن عواطف الأندلس ومشاعرها وأن الملك وحده يستطيع أن يقدر الموقف وينهض له فهو قادر على ذلك وبه جديراً ومن بين مراثي الأندلس الإسلامية قصيدة أبي عبد الله ابن الأبار القضاعي البلسي يرثي المدن الأندلسية الإسلامية وعلى رأسها مدينة بلنسية مسقط رأس ابن الأبار وموتل بني قضاة ومأواهم بالأندلس وكان من حديث بلنسية أن ملك برشلونة النصراني كان قد حاصرها فاستغاث أميرها زيان بن أبي الحملات ابن مردنيش بصاحب أفريقية أبي زكريا بن أبي حفص فأوفد عليه ابن الأبار كاتبه مع الرسالة إليه فقام ابن الأبار بين يدي السلطان فأنشده قصيدته السينية الفريدة الغراء التي هزت من السلطان عطف ارتياح وحركت من جنانه أخفض جناح على حد تعبير أحمد المقرئ رحمه الله، الذي احتفظ بهذه القصيدة فيما احتفظ به من التراث العربي الأندلسي الكثير فأعجب السلطان بالقصيدة فأمر شعراء حضرته بمجاوبتها فجاوبها غير واحد منهم وبادر السلطان الحفصي بإعانة أهل بلنسية المحصورين وأمدهم بالأساطيل البحرية والأموال والأقوات والكسب إلا أن العدو كان قد حال دون هذه الأمداد السلطانية وسبقها إلى التغلب على المدينة فاحتلها وكان ذلك يوم الثلاثاء السابع عشر لصفر من سنة ست وثلاثين وستمانه وكانت الأمداد قد وصلت متأخرة بسنة أي في سبع وثلاثين وستمانه على ما صرح به المقرئ.

إن قصيدة ابن الأبار السينية هذه وإن كانت لا تخلو من طابع خاص بالشعراء الفقهاء المتأدبين ولكنها في نفس الوقت تحمل رونقا وروعة من فصاحة اللفظ بالإضافة إلى حسن وبها من بلاغة المعنى وتستحق أن تجد مكانة مرموقة بين مراثي الأندلس الإسلامية على ألسنة شعرائها.

وببدأ ابن الأبار قصيدته بالرجاء الملح من سلطان فاس لنصرة مسلمي الأندلس وإنقاذهم من سيطرة طاغية الأفرنج الذي تغلب على بلادهم واستعبدهم وهو في ذلك لا يلجأ إلى التشبيب أو التوطئة والتمهيد وإنما يبدأ بفرضه المنشود وهدفه المطلوب مباشرة فيرجو السلطان أن يدرك الأندلس وأهلها بنصرته فينقذها من الدمار والإندراس ويشرح له حال المسلمين وما أصيب به المعاهد الدينية والمساجد مع الرجاء الملح الشديد لنصرة الإسلام والمسلمين فإن ذلك من سنة أسلافه وتقاليد آبائه ثم نرى ابن الأبار الفقيه قد انتهى بمدح السلطان وأسرته فأتى بالعجائب من المعاني الشعرية والمحاسن البلاغية وقد لجمع فيما قصد إليه من كسب تائيد السلطان والتأثير في نفسه وتحريضه على نصرة أهل بلنسية وإنقاذهم من العبودية المحتومة على أيدي طاغية الأفرنج.

وأما صاحب هذه القصيدة السينية الغراء أو عبد الله ابن الأبار القضاعي صاحب تكملة الصلة والحلة السيرة وإعتاب الكتاب وتحفة القادم وإيماض البرق وغيرها من المؤلفات القيمة فهو غنى عن التعريف وهو الذي يقول:

ونهر كما ذاب سبائك فضة حكى بمجاريه انعطاف الأراقم
إذ الشفق استولى عليه احمراره تراءى خضيبا مثل دامي الصوارم

وقد مات ابن الأبار مقتولا بتونس في ٦٥٨ هـ.

ومنها القصيدة الميمية التي أنشدها أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن العري العقبلي الفقيه الأديب الناظم النائر الكاتب المجيد صاحب سميّه وكنيته السلطان أبي عبد الله ابن الأحمر آخر ملوك غرناطة الناصريين والذي سقط عرشه على أيدي الملك فرديناند وصاحبته الملكة إيزابلا في الثاني من يناير سنة ١٤٩٢م أي الثاني من ربيع الأول سنة ٨٩٧ هـ فنفاه الأفرنج إلى أفريقية الشمالية فركب السفينة التي حملته هو وعائلته إلى العدو فلجأ إلى فاس المغرب وكان ملكها إذ ذاك هو الشيخ الوطاسي من بني مرين.

وقد افتتح العقبلي بقصيدته هذه ذلك الكتاب الذي بعث به أبو عبد الله ابن الأحمر إلى الشيخ الوطاسي صاحب فاس في وقته وكان الغرض من الكتاب هو «تمهيد لعذره وتوطئة لمقصده وتطارح على تلك الأبواب وتعلق، وتمسك بذلك الجنب وتعلق» على حد تعبير المقرئ في أزهار الرياض.

وهذه القصيدة الميمية ليست بمراثية الأندلس أو غرناطة بمعنى الكلمة ولكنها تعبر بدون شك عن عواطف الملك الساقط المخلوع الباكي على ملك غرناطة الراحل ومجد آبائه السليب كما أنها لا تخلو

من الحزن العميق على سقوط غرناطة والندم الشديد على ما حل بالأسرة الأحمريّة والشعب المسلم المستعبد المظلوم وذلك بما يهرر ضم القصيدة إلى مراثى الأندلس على السنة شعرائها.

وأما قصيدة ابن العربي العقيل المبيعة فهي من عيون الشعر العربي الأندلسي الرصين وفي غاية الفصاحة اللغوية والبلاغة المعنوية وتستحق أن تحتل مكانة فيما أنتجه الشعراء العرب الفطاحل في الشرق والغرب من القدماء والمحدثين من أمثال ناهضة النبيان والمنتبئ وأبى تمام وهي في الوقت نفسه تمثل الشعراء الذين تتبعوا البوصيري رحمه الله في برده المعروفة التي قرض على منوالها الكثيرون في القديم والحديث، والقصيدة حافلة بالأمثلة على ذلك كما أنها مليئة بالأمثال العربية السائرة فمن ذلك قوله:

والمرء ما لم يعنه الله أضيع من طفل تشكى بفقد الأم في اليتيم

وكل ما كان غير الله يحرسه فإن محروسه لحم على وضيم

ويتخلل القصيدة مصاريع قد ابتكرها العقيلي تكاد تكون أمثالا مرسلّة كما قال «وأفطع الخطب ما يأتي على الرغم» وقوله: «وأى ملك بظل الملك لم ينم» وقوله: «والبين أقطع للموصول من جلم». والقصيدة لا تخلو كذلك من المعاني المبتكرة النادرة قد يكون العقيلي أبو عذرتها ولم يسبقه إليها أحد مثل قوله:

وصل أو اصر قد كانت لنا اشتبكت فالملك بين ملوك الأرض كالرحم

ومن بين المراثى الأندلسية قصيدة الشيخ الدقون يندب بها الجزيرة بعد استيلاء العدو على جميعها وبعد انقراض الدولة الناصرية الغرناطية والقصيدة تحفل بالعواطف المحزنة الجياشة وتذكر النفوس بشجوها فترسل العيون دموعها الغزيرة كما يقول أحمد المقرئ، وقد افتتح الشيخ قصيدته بنص نثرى وهو:

«الحمد لله على كل حال والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله خير آل، أما بعد ... فيقول خديم أهل الله تعالى عبيد الله أحمد بن محمد الأندلسي الشهير بالدقون لطف الله به بمنه وكرمه إنه لما غابت شمس الجزيرة الخضراء بأخذ الحمراء قرعت باب الندبة لما تقدم من الصحبة فقلت أبياتاً صدرت من قلب كتيب مبكية كل لبيب أربب وسميتها بالموعظة الغراء بأخذ الحمراء مبيحا لمن رغب فيها ولم يرغب عنها أو استحسن شيئا منها أن يحدث بها عني وذلك بعد اتقان لفظها وحفظها وفهم وعظها ولحظها وإن كنت لا أحسن أن أقول وربما أعزى بها إلى الفضول لكن لا أعدم المثل وفي مثل هذا قيل:

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معاياه

فهذا هو تعليق الشيخ الدقون نفسه على قصيدته التى ندرسها الآن والتى ينتقصها الأسلوب الشعرى المعهود المؤلف عند شعراء الأندلس الفطاحل الذين بكوا على مجدها الزاهب ورثوا مدنها الساقطة فى أيدي الأعداء المعتدين والقصيدة الدقونية هذه تعبر عن أبسط المعانى بأبسط الكلمات ولكنها تصور أحزان المنكوبين المضطهدين من المسلمين على أيدي الكنيسة المسيحية ومحاكم التفتيش بعد سقوط غرناطة وغدر النصارى ونقضهم لشروط المعاهدة التى تمت بينهم وبين الملك الناصري المخلوع أبى عبد الله ابن الأحمر.

إن هذه الفترة من تاريخ المسلمين الأندلسيين فترة عصيبة رهيبة جدا فقد ارتكبت الكنيسة المسيحية من المظالم التى يعجز عنها القلم واقترفت من الجرائم التى لا تزال ولن تزال سبة وعارا فى جبين التاريخ المسيحى وهى فترة تحتاج إلى البحث والتنقيب والفحص والتحقيق وقلما تناولها الكتاب والأدباء والشعراء غير ما قام به الكاتب الإسلامى الكبير الأستاذ نسيم حجازى فهو الذى أولى اهتمامه بهذه الفترة العصيبة الهائلة وألف روايات تاريخية أروية قد نالت إعجاب القراء والناقدين على السواء، ومن هنا تتضح أهمية القصيدة الدقونية هذه.

وأما صاحب القصيدة فهو الشيخ الفقيه الراوية الشاعر الأستاذ أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف الصنهاجى الشهير بالدقون الخطيب بجامع القرويين بفاس المغرب، رحمه الله، وكان قد أخذ العلم عن الأستاذ الشيخ الصغير فقد قرأ عليه بالسبع وقارب الختم ولكنه توفى إلى رحمة الله قبل الإكمال فأكمل على ابن غازى وقد روى الشيخ الدقون عن الإمام المواق فهرسته وكان كثير المزاج، وروى عنه أبو القاسم ابن إبراهيم وغيره وتوفى فى شعبان عام واحد وعشرين وتسعمائة.

وأما القصيدة الأخيرة من مجموعتنا المختارة هذه التى تشتمل على رثاء الأندلس الإسلامية على السنة شعراتها فهى قصيدة لشاعر مجهول من أهل الجزيرة الخضراء والذى عاش بعد استيلاء العدو على الأندلس كلها واحتلاله لمدينتها العاصمة الإسلامية كلها بما فيها غرناطة وهى قصيدة مهداة إلى السلطان با يزيد خان العثمانى.

والواقع أن هذه القصيدة تمثل الأسلوب البسيط مع التعبير الصادق الصحيح عن مشاعر المنكوبين المستغيثين ورغم أن ألفاظها غير بليغة وحيآكتها رديئة كما يصرح به المقرئ إلا أنها تستحق أن تجد لها مكانة فى مجموعتنا المختارة هذه إذ هى تأييد لما جاء فى القصيدة الدقونية

وتصوير صادق لما واجهه المسلمون المنكوبون الذين اضطهدتهم الكنيسة المسيحية في أسبانيا وأكرهتم على اعتناق المسيحية أو الموت حرقاً وهي فظائع هائلة ترتعد النفوس عند ذكرها وتتشعر الجنوب عند سماعها وتستعيد القلوب بالله من دعاة الرحمة الكاذبين!!

وجملة القول فإن رثاء الأندلس الإسلامية على السنة شعرائها والذي تضمنه هذه المجموعة المختارة إنما هو نوع مستقل من المراثي العربية الكثيرة على اختلاف أنواعها وأزمنتها وأماكنها وأن هذا النوع المستقل الفريد من الرثاء العربي يستحق الاهتمام والتقدير من قبل الدارسين والنقاد للآداب العربية الواسعة وخاصة في هذه اللحظة الحاسمة من التاريخ البشري حيث يجدد العالم العربي الإسلامي ذكرى الأندلس الإسلامية بعد مضي خمسة قرون على جلاء المسلمين عنها وتدمير الحضارة الإسلامية الراقية والثقافة العربية المتقدمة ومحو آثارها وتحريق سجلاتها من ذخائر الكتب ومكتباتها العامرة على أيدي الجهلة الأغبياء.

إن هذه المرحلة التاريخية لحظة حاسمة حقاً حيث إن الإنسان المثقف المتحضر المتنور قد وقف اليوم على مفترق الطرق حائراً مندهشاً وخاصة بعد فشل الشيوعية وظهور الديمقراطية والحرية وإعلان النظام العالمي الجديد المجهول نسبه والمخمول ملامحه إن هذا الإنسان المثقف المتحضر المتنور الذي رفض الجبر والإكراه والاستبداد ويريد أن يعيش حراً بإرادته ورأيه وفكره يجب أن يتسائل هذا الإنسان فيقول:

لماذا وكيف دمرت الحضارة الإسلامية الأندلسية ؟

هل انتفعت أوروبا بذلك الدمار والخراب أم خسرت ؟

بل يجب أن يقول متسائلاً:

هل أسبانيا المسيحية نفسها قد خسرت بذلك أم انتفعت ؟

وما هي أبعاد تلك الخسارة أو ذلك الانتفاع ؟

لماذا يتباكى أبناء أسبانيا بجانب غيرهم من العلماء المتنورين المنصفين على تلك الخسارة اليوم ؟

وفوق ذلك كله فإنه يجب على هذا الإنسان المثقف المتنور أن يعرف: ما هو الإسلام ورسالته؟ وما

ذا أشيع عنه وكيف ولماذا شوه ولا يزال يشوه وجهه ؟

كما أنه يجب على المسلم المثقف المتنور أن يصحو وينهض بمعنى الكلمة لكي يعرف من أين

وكيف بدأت مسيرة الإسلام وكيف ولماذا انحرف بها أعداء الإسلام عن هدفه؟

ويجب أن نعرف بداية الإسلام قبل أن نعرف نهايته المنشودة وهدفه الأسمى الذي يدعوا إليه ويريد أن يقود إليه البشر

وأما القبة الأدبية لهذه المراثي الأندلسية التي تضمها هذه المجموعة المختارة فإن الحديث عنها أو الكلام والتعمق فيها أو التقدير لها فإنما هو من حق الدارس والناقد ولا نستطيع أن نضيف شيئا إلى ما سبق وقد حاولنا من تقويم القصائد وتحليلها على سبيل الإيجاز والاقتضاب ونكتفى هنا بالإشارة إلى بعض ما تحتوى عليه هذه المراثي الأندلسية المبكية المحزنة وتحمل من رسالة المعاني والأفكار:

(١) إن هذه المراثي إنما هي صور للكوارث الهائلة المهيبة التي مرت على الأمة الإسلامية الأندلسية كما أنها صدى النكبات الكبرى التي حلت بالحكم الإسلامي الأندلسي وهي سجل الهزات العنيفة التي أصيبت بها الأندلس الإسلامية فزلزلتها وزعزعت بنيانها خلال العديد من الفترات المتتالية فكان هذه المراثي تمثل جميع المشاهد والمناظر التي تحتوى عليها الفصول المتعددة المختلفة لتلك المأساة الدرامية الأندلسية الكبرى التي لا نظير لها في التاريخ والتي لا تزال تحزن وتبكي وتقيم وتقعّد أجيال الأمة المسلمة إنها لمراثي محزنة مبكية تذيب القلوب المؤمنة على مصاب أمة وضباع حضارة

(٢) إن الشاعر الأندلسي من خلال رثائه هذا المحزن المبكى يبدو واقعيا فيما يراه أو بقوله أو يحلله فهو يقوم بدور الناصح المصلح والناقد البصير والمعلق المنصف حين يوبخ المسلم الأندلسي أو ينقد الحاكم الأندلسي المسلم، ونراه يثور غيظا وبطير غضبا وينفخ في الصور لكي تقوم القيامة و لكي يبحث على العمل الجاد والجهاد وبهز القلوب هذا شديدا حين يصور الفظائع التي ارتكبتها الأعداء المعتدون مع تحليل الأسباب تحليلاً منطقياً واستخراج النتائج الصحيحة الواقعية.

(٣) إن فكرة هؤلاء الشعراء الذين رثوا الأندلس وبكوا على مدنها تكاد تجمع على أن الأرض الأندلسية السليبية أرض الإسلام الموعودة وأنه لا بد أن يعود إليها المسلمون يوما مهما طال الزمن ومهما اختلفت الظروف والأسباب ولعل ذلك مما جعل شاعر الإسلام العلامة محمد إقبال يعتبر الأندلس فردوس الإسلام المفقود وأرض المسلمين الموعودة.

(٤) إن الدراسة الشاملة العميقة لهذه المراثي الأندلسية المحزنة المبكية والنظرة الفائرة في معانيها ورسالتها الموحية لتقود القارئ حقا إلى داء الأمة المزمن ومرضها العضال ألا وهو التباغض

والمعاداة وعيش اللهو وإهمال الواجب فتلك هي العوادي والأسقام التي تعرقل سير الأمة وهي الأمراض والأدواء التي تقضى على مسيرتها وتأتى عليها!

(٥) إن كل شاعر من شعراء هذه المراثى لا بل كل بيت من أبياتها يوحى إلى القارئ المسلم بأن
فى الوحدة حياة وفى الافتراق مماتاً ، وأنه يجب على كل عبد مؤمن أن يعمل بقول الله عز وجل حين
ينادى عباده المؤمنين :

واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا!

الدكتور ظهور أحمد أظهر

الأستاذ بقسم اللغة العربية - جامعة بنجاب

لاهور فى ٢٢ فبراير ١٩٩٢م

وقال أبو عامر ابن شهيد يبكي قرطبة ويرثي أهلها^(۱)

ما في الطلول من الأحبة مخبر
لاتسألن سوى الفراق فإنه
جار الزمان عليهم فتفرقوا
جرت الخطوب على محل ديارهم
فدع الزمان يصوغ في عرصاتهم
فلمثل قرطبة يقل بكاء من
دار - أقال الله عشرة أهلها -
في كل ناحية فريق منهم
عهدي بها والشمل فيها جامع
ورباح زهرتها تلوح عليهم
والدار قد ضرب الكمال رواقه
والقوم قد آمنوا تغير حسنها
يا طيبهم بقصورها وخدورها
فمن الذي عن حالها نستخير
ينبيك عنهم أنجدوا أم أغوروا
في كل ناحية وباد الأكثر
وعليهم فتغيرت وتغيروا
نورا تكاد له القلوب تنور
يبكي بعين دمعها متفجر
فتبرروا وتغربوا وتمصروا
متفطر لفسراقها متحير
من أهلها والعيش فيها أخضر
بروائح يفتتر منها العنبر
فيها وباع النقص فيها يقصر
فتعمموا بجمالها وتأزروا
وبدورها بقصورها تتخدر

۱- تخریج: أعمال الاعلام من ۱۰۵ تاریخ الألب الأندلسي من ۱۲۸

والقصر قصر بني أمية وافر
والزاهرية بالمركب تزه
والجامع الأعلي بغص بكل من
ومسالك الأسواق تشهد أنها
ياجنة عصفت بها وبأهلها
آسى عليك من الممات وحق لي
كانت عراصك^(۱) للميمم مكة
يامنزلأ نزلت به وبأهله
جاد الفرات بساحتك ودجلة
وسقيت من ماء الحياة غمامة
أسفي على دار عهدت ربوعها^(۲)
أيام كانت عين كل كرامة
أيام كان الأمر فيها واحداً
أيام كانت كف كل سلامة
حزني على سرواتها^(۳) ورواقها
نفسي على آلائها وصفائها
كبيدي على علمائها حلمائها

من كل أمر والخلافة أوفر
والعامرية بالكواكب تعمر
يتلو ويسمع ما يشاء وينظر
لا يستقل بسالكها المحشر
ريح النوى فتدمرت وتدمروا
إذ لم نزل بك في حياتك نفخر
بأوي إليها الخائفون فينصروا
طير النوى فتغفروا وتنكروا
والنيل جاد بها وجاد الكوثر
تحيا بها منك الرياض وتزهز
وظباؤها بفنائها تبختر
من كل ناحية إليها تنظر
لأميرها وأمير من يتأمر
تسمو إليها بالسلام وتبدر
وثقاتها وحماتها يتكرر
وبهائها وسنائها تتحسر
أدبائها ظرفائها تنفطر

۱ - العراص : واحدها عرصه وهي ساحة الدار أو البقعة الواسعة بين الدار لا بناء فيها .

۲ - الربوع : واحدها الربع وهو ربع الدار أو ما حولها . والظباء : واحدها ظبي ويريد بها النسوة أو الفتيات الجميلات .

۳ - سراة كل شيء : أعلاه ووسطه ومعظمه وهنا يريد بها السادة القادة .

وقال ابن حزم يندب قرطبة نثراً وشعراً^(١)

وقفت على أطلال منازلنا، بحومة بلاط مغيث من الأرياض^(٢) الغربية، ومنازل البرابر المستباحة عند معاودة قرطبة. فرأيتها قد محت رسومها، وطصت أعلامها، وخفيت معاهدها، وغيرها البلى؛ فصارت صحارى مجدبة بعد العمران، وفيافي موحشة بعد الأنس، وآكاما مشوهة بعد الحسن، وخرائب مفزعة بعد الأمن، ومآوى للذباب، وملاعب للجان، ومغانى للغيلان، ومكامن للوحوش، ومخابى للصوص، بعد طول غنيانها^(٣) برجال كالسيوف، وفرسان كالليوث، تفيض لديهم النعم الفاشية، وتفص منهم بكثرة القطين الحاشية، وتكنس في مقاصيرهم ظباء الأنس الفاتنة تحت زبرج^(٤) من غضارة الدنيا تذكر نعيم الآخرة؛ حال الدهر عليهم بعد طول النضرة؛ فبدد شملهم حتى ساروا في البلاد أيادي سبا، تنطق عنهم الموعظة. فكان تلك المحاريب المنمقة، والمقاصير المرشقة، التي كانت في تلك الديار كبروق السماء إشراقاً وبهجة، يقيد حسناتها الأبصار، ويجلى منظرها الهموم، كأن لم تغن بالأمس، ولا حلتها سادة الأنس؛ قد عبث بها الخراب، وعمها الهدم؛ فأصبحت أوحش من أفواه السباع فاغرة، تؤذن بفناء الدنيا، وتريك عواقب أهلها، وتخبرك عما يصير إليه كل ما قد بقى ماثلاً فيها، وتزهك فيها. وكررت النظر، ورددت البصر، وكدت أستطار حزناً عليها، وتذكرت أيام نشأتى فيها، وصباة لداتى بها؛ مع كواعب غيد، إلى مثلهن يصبو الحليم ومثلت لنفسى انطواهن بالفناء، وكونهن تحت الثرى إثر تقطع جمعنا بالتفرق والجلاء في الآفاق النائية، والنواحي البعيدة؛ وصدقت نفسى عن فناء تلك القصبة، وانصداع تلك البيضة بعد ما عهدتمن حسناتها ونضارتها وزبرجها وغضارتها، ونضوته بفراقها من الحال الحسنة، والمرتبة الرفيعة، التي رفلت في حللها ناشئاً فيها، وأرعبت سمى صوت الصدى، واليوم زاقياً بها، بعد حركات تلك الجماعة المنصدعة بعرضاتها، التي كان ليلها تبعاً لنهارها، في انتشارها بسكانها، والتقاء عمارها؛ فعاد نهارها تبعاً لليلها في الهدو والاستبحاش، والخفوت والإخفاش. فأبكى ذلك عيني على جمودها، وقرع كبدي على صلابتها؛ وهاج بلابلى على تكاثرها، وحركنى للقول على نبو طبعى؛ فقلت :

١ - تخريج: أعمال الأعلام ص ١٠٦، تاريخ الأدب الأندلسي ص ١٣٩.

٢ - الأرياض واحدتها ريش وهي الزوجة والمولى.

٣ - الغنيان: العمران والسكن.

٤ - الزبرج: الحلية والزينة.

الطويل

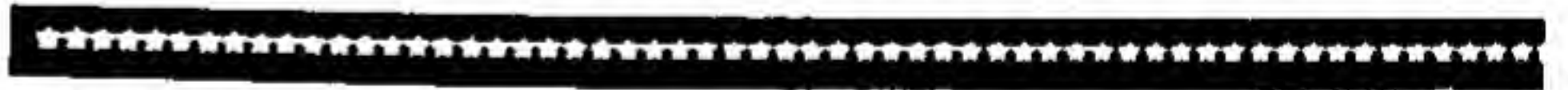
خلاء من الأهلين موحشة قفرا
ولا عمرت من أهلها قبلنا دهرنا
ولو أننا نستطيع كنت لنا قبرا
تدمرنا طوعاً لما حل وقهرا
سقتك الفوادي ما أجل وما أمراً^(١)
رياض قوارير غدت بعدنا غبرا
ولو سكنوا المروين أو جاوزوا النهرنا
وإن كان طعم الصبر مستثقلاً مرا
وإن ساءنا فيها فقد طال ما سرا
ربوعك جون المزن يهمل بها القطرا
وصيد^(٢) رجال أشبهوا الأنجم الزهرا
لمثلهم أسكبت مقلتي العبرا
لعل جميل الصبر يعقبنا يسرا
فكيف بمن من أهلها سكن القبرا
فنحمد منك العود إن عدت والكرنا

سلام على دار رحلنا وغودرت
تراها كأن لم تغن بالأمس بلقعا
فيا دار لم يسفرك منا اختيارنا
ولكن أقداراً من الله أنفذت
ويا خير دار قد تركت حميدة
ويا مجتلى تلك البساتين حفا
ويا دهر بلغ ساكنيها تحيتي
فصبراً لسطو الدهر فيهم وحكمه
لئن كان أظمأنا فقد طال ما سقى
وأيتها الدار الحبيبة لا يرم
كأنك لم يسكنك غيد أوانس
تفانوا وسادوا واستمرت نواهم
سنصبر بعد اليسر للعسر طاعة
وإني ولو عادت وعدنا لعهدنا
ويا دهرنا فيها متى أنت عائد

١ - الأمرا من الطعام والشراب السائغ اللذيذ.

٢ - الصيد كالصيد جمع الأصيد من الرجال نوى السلطة والقررة والمال.

فيا رب يوم في ذراها ولبلة	وصلنا هناك الشمس باللهم والبدر
فوا جسمي المضي ووا قلبي المغري	ووا نفسي الشكلي ووا كبدي الحرا
ويا هم ما أعدى ويا شجو ما أبر	ويا وجد ما أشجى ويا بين ما أفرا ^(١)
ويا نهر لا تبعد ويا عهد لا تحل	ويا دمع لا تجمد ويا سقم لا تبر
سأندب ذاك العهد ما قامت الخضر	على الناس سقفاً واستقلت بنا الغبرا



وقال الفقيه ابن العسال يبكي برشتر^(۱)

ولقد رمانا المشركون بأسهم
هتكوا بخيلهم قصور حريمها
جاسوا خلال ديارهم فلم بها
باتت قلوب مسلمين برعبهم
كم موضع غنموه لم يرحم به
ولكم رضيع فرقوا من أمه
ولرب مولود أبوه مجدل^(۲)
ومصونة في خدرها محجوبة
وعزیز قوم صار في أيديهم
لولا ذنوب المسلمين وأنهم
ما كان ينصر للنصارى فارس
فشرارهم لا يختفون بشرهم
لم تُخط لکن شأنها الصماء
لم يبق لا جبل ولا بطحاء
ففي كل يوم غارة شعراء
فحماتنا في حريمهم جبناء
طفل ولا شيخ ولا عذراء
فله إليها ضجة وبغاء^(۳)
فوق السراب وفرشه البیداء
قد أبرزوها مالها استخفاء
فعليه بعد العزة استخذاء
ركبوا الكبائر ما لهن خفاء
أبدأ عليهم فالذنوب الداء
وصلاح منتحلي الصلاح رياء

۱ - تخریج: الروض المعمار ص ۴۰.

۲ - البغاء بضم الباء الطلب والعناية

۳ - المجدل: الملتخ الملوث.

وقال بعض شعرائهم يبكي قرطبة^(١)

الريح

إبك على قرطبة الزين	فقد دهرتها نظرة العين
أنظرها الدهر بأسلافه	ثم تقاضى جملة الدين
كانت على الغاية من حسنها	وعيشها المستعذب اللين
فانعكس الامر فما أن ترى	بها سرورا بين اثنين
فاغدو ودعها وسر سالما	إن كنت أزمعت على البين

وقال آخر من قصيدة في المعنى^(٢)

السيط

أضعتكم الحزم في تدبير أمركم	ستعلمون معا عقي البوار غدا
فلو رأيتم بعين الفكر حالكم	بكيتم بدم أن دمتم بددا
لاكن سبل العمى أعمت بصائركم	فألستكم ثيابا لليلي جددا
يا أمة هتكت مستور سوئتها	ما كل من ذل أعطى بالصفار يدا
في سورة الحشر آيات مفصلة	في شأنكم أنزلت لم تعدكم أحدا
نعم وفي الكهف العشرين خاتمة	تقضى عليكم بأن لا تفلحوا أبدا
فاستشعروا سوء عقباكم فقد شملت	جميعكم محنة لا تنقضى أبدا

١ = البيان المغرب ٢: ١٦٧

٢ = نفس المرجع.

وقال أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة يندب بلنسية ^(١)

الكامل

عاشت بساحتك الظبي يا دار
فإذا تردد في جنابك ناظر
أرض تقاذفت النوى بقطينها
فجعلت أنشد خير سادة أهلها
ومحامحاسنك البلى والنار
طال اعتبار فيك واستعبار
وتمخضت بخرابها الأقدار
لا أنت أنت ولا الديار ديار
وقال الأستاذ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن خلصة البلنسي في نفس المعنى ^(٢)

السيط

وروضة زرتها للأس مبتغيا
تغيرت بعدهم خربا وحق لها
لو أنها نطقت قالت لفقدتهم
فأوحشتني لذكرى سادة هلكوا
مكان نوارها أن ينبت الحسك
بان الخليط ولم يرثوا لمن تركوا

١ - تخريج : الروض المعمار ص ٤٨

٢ - نفس المرجع .

وقال أبو المطرف ابن عميرة يبكي بلنسية ويرثي أهلها^(١)

البيط

ما بال دمعك لا ينى^(٢) مدراره
 اللوعة بين الضلوع لظاعن
 أم للشباب تقاذفت أوطانه
 أم للزمان أتى بخطب فادح
 بحر من الأحزان عب عبابه
 فى كل قلب منه وجد عنده
 أما بلنسية فمشوى كافر
 زرع من المكروه حل حصاده
 وعزيمة للشرك جعجع^(٣) بالهدى
 قل كيف تثبت بعد تمزيق العدا
 ما كان ذاك المصر إلا جنة
 طابت بطيب بهاره أصاله
 أما السرار^(٤) فقد غداه وهل سوى
 قد كان يشرق بالهداية ليله
 ودجابه ليل الخطوب بصبحة
 أم ما لقلبك لا يقر قراره
 سارت ركائبه وشطت داره
 بعد الدنو وأخفقت أوطاره
 من مثل حادته خلت أعصاره
 وارتج ما بين الحشا زخاره
 أسف طويل ليس تخبوناره
 حفت به فى عقرها كفاره
 عند الفدو غداة لج حصاره
 أنصارها إذ خانته أنصاره
 آثاره أم كيف يدرك ثاره
 للحسن تجرى تحته أنهاره
 وتعطرت بنسيسة أشجاره
 قمر السماء يزول عنه سراره
 والآن أظلم بالضلال نهاره
 أعباء على أبصارنا إسفاره

١ - الروض المطار : ص ٤١

٢ - ونى ينى : فتر وضعف وكل وأعبا .

٣ - جمع البعير : حركة لإناخة وبركة ، والبعير برك وقعد .

٤ - السرار آخر ليلة من الشهر والجمع أسرة .

ومن رثاء بلنسية قول ابن الأبار البلنسي^(١)

البيط

ولم يزل أمر بلنسية يضعف باستيلاء العدو على أعمالها إلى أن حصرها ملك برشلونة النصراني، فاستغاث زيان بصاحب إفريقية أبي زكريا بن أبي حفص، وأوفد عليه في هذه الرسالة كاتبه الشهير أبا عبد الله ابن الأبار القضاعي صاحب كتاب «التكملة» و«إعتاب الكتاب» وغيرهما، فقام بين يدي السلطان منشداً قصيدته السينية الفريدة التي فضحت من باراها، وكبا دونها من جاراها، وهي:

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا	إن السبيل إلى منجاتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمس	فلم يزل منك عز النصر ملتصا
وحاش مماتعانيه حشاشتها	فطالما ذقت البلوى صباح مسا
يا للجزيرة أضحى أهلها جزراً	للحادثات وأمسى جدها تعسا
في كل شارقة المام بارقة	يعود مآتمها عند العدا عرسا
وكل غارية إخال شائبة	تثنى الأمان حذارا والسرور أسي
تقاسم الروم لآلت مقاسمهم	إلا عقائلها المخجوبة الأنسا
وفي بلنسية منها وقرطبة	ما ينسف النفس أو ما ينزف النفسا
مدائن حلها الإشراك مبتسما	جذلان، وارتحل الإيمان مبتثسا
وصيرتها العوادي ^(٢) العائثات بها	يستوحش الطرف منها ضعف، ما أنسا
فمن دسا كركانت دونها حرسا	ومن كنائس كانت قبلها كنسا

١- تخريج: نفخ الطيب ٨/ ٢٠٠، أزهار الرياض ٣/ ٧٢

٢- العائثات: من قولهم: عائث عن الأمر، أي صرفه عنه ومنعه وعوقه.

يا للمساجد عادت للمداييعا
 لهني عليها إلى استرجاع فانتها
 وأربعاً نمنمت أيدي الربيع لها
 كانت حداثق للأحداق مونة
 وحال ما حولها من منظر عجب
 سرعان ما عاث جيش الكفر وا حربا
 وابتز بزتها^(١) مما تحيفها
 فأين عيش جنبناه بها خضرا
 معاسنها طاع أتبع لها
 ورج أرجاءها الماحاط بها
 خلا له الجو فامتدت يداه إلى
 وأكثر الزعم بالتثليث منفرداً
 صل حبلىها أيها المولى الرحيم فما
 وأحى ما طمست منها العداة كما
 أيام صرت لنصر الحق مستبقا
 وقمت فيها بأمر الله منتصراً

وللنداء غدا أثنا مهاجرسا
 مدارساً للمثاني أصبحت درسا
 ما شئت من خلع موشية وكسا
 فصوح^(٢) النضر من أدواحها وعسا
 يستجلس الركب أو يستركب الجلسا
 عيث الدبى فى مغانيها التى كبسا
 تحيف الأسد الضارى لما افترسا
 وأين عصر جليناه بها سلسا
 ما نام عن هضمها حينا ولا نعسا
 فغادر الشم من أعلامها خنسا^(٣)
 إدراك ما لم تطأ رجلاه مختلسا
 ولورأى راية التوحيد ما نبسا
 أبقى المراس لها حبلا ولا مرسا
 أحبيت من دعوة المهدي ما طمسا
 ويت من نور ذاك الهدى مقتبسا
 كالصارم اهتز أو كالعارض انبجسا

١ - صوح : أى ييس وجف وأدواح جمع الدوح وواحدا دوحه وهى الشجرة العظيمة المتشعبة ذات الفروع الممتدة.
 ٢ - من قولهم بز قرينه وابتزه أى غلبه بالقوة وسلبه ما كان لديه وذلك ما يسمى بالعامية المصرية البلطجة فهو بلطجى وتحيف أى أخذ.
 ٣ - الخنس الثلباء ويقصد به الجبان الخائف.

تمحو الذى كشف التجسيم من ظلم
 وتقتضى الملك الجبار مهجته
 هذى رسائلها تدعوك من كذب
 وافتك جارية بالنجح راجية
 خاضت خضارة^(٢) يعليها ويخفضها
 وربما سبحت والريح عانية
 تؤم يحيى بن عبد الواحد بن أبى
 ملك تقلدت الأملاك طاعته
 من كل غاد على يمناه مستلما
 مؤيد لو رمى نجما لأثبتته
 تالله إن الذى تزجى السعود له
 إمارة يحمل المقدار رايتها
 يبدى النهار من ضوئه شنباً
 ماضى العزيمة والأيام قد نكلت
 كأنسه البدر والعلياء هالته
 تدبيره وسع الدنيا وما وسعت

والصصبح ماحية أنواره الغلسا
 يوم الوغى جهرة لا ترقب الخلسا
 وأنست أفضل مرجول من يشا
 منك الأمير الرضا والسيد الندسا^(١)
 عبابه فتعانى اللين والشرسا
 كما طلبت بأقصى شدة الفرسا
 حفص مقبلة من تربه القدسا
 ديننا ودنيا ففشاها الرضا لبسا
 وكل صاد إلى نعماء ملتصاً
 ولو دعا أفقاً لبي وما احتبسا
 ما جال فى خلد يوما ولا هجسا
 ودولة عزها يستصحب القعسا
 ويطلع الليل من ظلماته لعسا^(٣)
 طلق المحيا ووجه الدهر قد عبسا
 تحف من حوله شهب القنا حرسا
 وعرف معروفه وأسى الورى وأسا

١ = الندس الذى يخالط الناس دون أن يتقل عليهم

٢ = خضارة إذا جاءت بدون التعريف فهي من أسماء البحر وسمى بذلك لغضرة مائه.

٣ = الشنب جمال الثغر وصفاء الأسنان.

قامت على العدل والإحسان دولته
 مبارك هديه بآدس كينته
 قد نور الله بالتقوى بصيرته
 برى العصاة وراش الطائعين فقل
 ولم يفادر على سهل ولا جبل
 قرب أصيد لا تلقى به صيدا
 إلى الملائك ينمى والملوك معا
 من ساطع النور صاغ الله جوهره
 له الثرى والثريا خطتان فلا
 حسب الذى باع فى الأخطار يركبها
 إن السعيد امرؤ ألقى بحضرته
 فظل يوطن من أرجائها حرما
 بشرى لعبد إلى الباب الكريم حدا
 كأنما يمتطى واليمن يصحبه
 فاستقبل السعد وضاحا أسرته
 وقبل الجود طفاحا غواره

وأنشرت من وجود الجود ما رما
 ما قام إلا إلى حسنى وما جلسا
 فما يبالى طروق الخطب ملتبسا
 فى الليث مفترسا والغيث مرتجسا
 حيالقا إذا وافيته بخسا
 ورب أشوس لا تلقى له شوسا^(١)
 فى نبعة أثمرت للمجد ما غرسا
 وصان صيقله أن يقرب الدنسا
 أعز من خطبيه ما سما ورسا
 إليه محباه أن البيع ما وكسا^(٢)
 عصاه محترما بالعدل محترسا
 ويات يوقد من أضوائها قبسا
 أماله ومن العذب المعين حسا
 من البحار طريقا نحوه يبسا
 من صفحة فاض منها النور وانعكسا
 من راحة غاص فيها البحر وانغمسا

١ - الصيد داء بالعنق لا يستطاع معه الالتفات والأصيد المنكبر المزمو بنفسه والأشوس هو الأشد.

٢ - بيع الوكس بيع الخسارة والوكس النقص والخسارة.

يا أيها الملك المنصور أنت لها
وقد تواترت الأنباء أنك من
طهر بلادك منهم إنهم نجس
وأوطس الفيلق الجرار أرضهم
وانصر عبيداً بأقصى شرقها شرقت
هم شيعة الأمر وهي الدار قد نهكت
فاملاً هنيئاً لك التأييد ساحتها
واضرب لها موعداً بالفتح ترقبه
علياء توسع أعداء الهدى تعسا
يحيى بقتل ملوك الصفر^(١) أندلسا
ولا طهارة ما لم تفسل النجسا
حتى يطأطن رأسا كل من رأسا
عيونهم أدمعاً تهمل زكا وخسا^(٢)
داء متى لم تباشر حسمه انتكسا
جردا سلاهب^(٣) أو خطية دعسا
لعل يوم الأعادى قد أتى وعسى

ومن رثاء طليطلة قول ابن العسال اليحصبي^(٤)

وقد قال بعض الشعراء - وهو عبد الله بن فرج ابن العسال - حين أخذت طليطلة ، وكانت من أول ما أخذ من القواعد العظام ، يخاطب أهل الأندلس .

البيط

يا أهل أندلس شدوا رحالكم
السلك ينشر من أطرافه وأرى
من جاور الشر لا يأمن بوائقه
فما المقام بها إلا من الغلط
سلك الجزيرة منشوراً من الوسط
كيف الحياة مع الحيات في سفت^(٥)

١ - الصفر لقب الروم ويراد به الأتراك.

٢ - الضسا القود يقال خسا أو زكا أي فرد أو زوج.

٣ - السلاهب واحدها سلهب وهو الطويل من الناس والخييل والنص والنص من الرجال الطعان.

٤ = نفع الطيب ٨٤/٨ ، أزهار الرياض ٣٢/٣.

٥ = البوائق واحدها بائقة وهي الداهية والشر ، والسفت وهاء من قضبان الشجر ونحوها توضع فيه الأشياء.

ومن ذلك قول بعضهم يندب طليطلة ويرثي أهلها^(١)

الوافر

لشكلك كيف تبتسم الثغور
أما وأبى مصاب هد منه
لقد قصمت ظهور حين قالوا
ترى فى الدهر مسروراً بعيش
أليس بها أبى النفس شهم
لقد خضعت رقاب كن غلبا
وهان على عزيز القوم ذل
طليطلة أباح الكفر منها
فليس مثالها إيوان كسرى
محصنة محسنة بعيد
ألم تك معقلاً للدين صعبا
وأخرج أهلها منها جميعاً
وكانت دار إيمان وعلم

سروراً بعد ما بنست ثغور^(٢)
ثبير الدين فاتصل الثبور^(٣)
أمير الكافرين له ظهور
مضى عنا لطيته السرور
يدير على الدوائر إذ تدور
وزال عتوها ومضى النفور
وسامح فى الحرم فتى غيور
حماها، إن ذا نبأ كبير
ولا منها الخورنق والسدير^(٤)
تناولها ومطلبها عسير
فذلكه كما شاء القدير
فصاروا حيث شاء بهم مصير
معالمها التى طمست تنير

١ - تخریج : فتح الطیب ٢٢٨/٦ .

٢ - الثغور فى الشطر الأول فى الأقواء وفى الشطر الثانى فى الحدود وينست من باب علم يعلم والمصدر البؤس أى الشقاء .

٣ - الثبور الثبور هو الهلاك .

٤ - إيوان كان قصر الملوك الفرس والخورنق والسدير قصر ان كانا للوك الحيرة من المناصرة .

فعمادت دار كفر مصطفى
 مساجدها كنائس، أى قلب
 فيها أسفاه يا أسفاه حزناً
 وينشر كل حسن ليس يطوى
 أذيلت قاصرات الطرف كانت
 وأدركها فتور فى انتظار
 وكأن بنا وبالقينات أولى
 لقد سخنت بحالتهن عين
 لئن غبنا عن الإخوان إنا
 نذور كان للأيام فيهم
 فإن قلنا العقوبة أدركتهم
 فإنام مثلهم وأشد منهم
 أنأمن أن يحل بنا انتقام
 وأكل للحرام ولا اضطرار
 ولكن جرأة فى عقردار
 يزول الستر عن قوم إذا ما

قد اضطربت بأهلها الأمور
 على هذا يقر ولا يظير؟
 يكرر ما تكررت الدهور
 إلى يوم يكون به النشور
 مصونات مساكنها القصور
 لسرب فى لوحظه فتور
 لو انضمت على الكل القبور
 وكيف يصيح^(١) مفلوب قرير
 بأحزان وأشجان حضور
 بهلكهم فقد وفيت النذور
 وجاءهم من الله النكير
 فجور وكيف يسلم من يجور
 وفيما الفسق أجمع والفجور
 إليه فيسهل الأمر العسير
 كذلك يفعل الكلب العقور
 على العصيان أرخيت الستور

١ = وفى المطبوع من النفع يصح والأصوب ما أثبت.

يطول على ليلى، رب خطب
 خذوا ثأر الديانة وانصروها
 ولا تهنوا وسلوا كل غضب
 وموتوا كلكم فالموت أولى
 أصبراً بعد سبى وامتحنان
 فأم الصبر مذكى وولود
 تحور إذا دهينا بالرزايا
 ونجبن ليس نزار، لو شجعنا
 لقد سائت بنا الأخبار حتى
 اتتنا الكتب فيها كل شر
 وقيل تجمعوا لفراق شمل
 فقل فى خطة فيها صفار
 لقد صم السميع فلم يعمول
 يجاذبنا الأعادى باصطناع
 فباق فى الديانة تحت خزي
 وآخر مارق هانت عليه

يطول لهوله الليل القصير
 فقد حامت على القتلى النصور
 تهاب مضارباً عنه النحور
 بكم من أن تجاروا أو تجوروا
 يلام عليهما القلب الصبور
 وأم الصقر مقللة نزور^(١)
 وليس بمعجب بقدر يخور
 ولم نجبن لكان لنا زئير
 أمات المخبرين بها الخبير
 وبشرنا بأنحسنا البشير
 طلبلة تملكها الكفور
 يشيب لكريها الطفل الصغير
 على نبي كما عى البصير
 فينجذب المخول والفقير
 تشبطه الشويهة والبعير^(٢)
 مصائب دينه فله السعير

١ - الشطر الثاني من البيت هو الشطر الثاني من بيت الشاعر الحماسي الذي يقول :

بغات الطير أكثرها فراخاً وأم الصقر مقللة نزور

٢ - الديانة والدين : الخطيرة من القصب خاصة ، والشويهة : تصغير الشاة .

كفى حزننا بأن الناس قالوا
 أنت ترك دورنا ونفرت عنها
 ولا ثم السضباع تروق حسنا
 وظل وارف وخرير ماء
 ويؤكل من فواكهها طرى
 يؤدى مفرم فى كل شهر
 فهم أحمى لحوزتنا وأولى
 لقد ذهب اليقين فلا يقين
 فلا دين ولا دنيا ولكن
 رضوا بالرق يالله ماذا
 مضى الإسلام فابك دما عليه
 ونح وانذب رفاقنا فى فلاة
 ولا تجنب إلى سلم وحارب
 أنعمى عن مرأشدا جميعا
 ونلقى واحداً ونفرت جمع
 ولو أننا ثبتنا كان خيرا

إلى أين التحول والمسير
 وليس لنا وراء البحر دور
 نباكرها فبمعجبنا البكور
 فلا قر هناك ولا حرور
 ويشرب من جداولها نغير
 ويؤخذ كل صائفة عشور
 بنا وهم الموالى والعشير
 وغر القوم بالله الغرور
 غرور بالمعيشة ما غرور
 رآه وما أشار به مشير
 فما ينفى الجوى الدمع الغزير
 حيارى لا تحط ولا تسير
 عسى أن يجبر العظم الكسير
 وما إن من هم إلا بصير
 كما عن قانص فرت حمير
 ولكن مالنا كرم وخير

إذا ما لم يكن صبر جميل
 ألا رجل له رأى أصيل
 يكرر إذا السيوف تناولته
 ويطعن بالقنا الخطار حتى
 عظيم أن يكون الناس طرا
 أذكر بالقراع الليث حرصا
 يبادر خرقها قبل اتساع
 وسع للذي يلقاه صدرا
 تنفصت الحياة فلا حياة
 فليل فيه هم مستكن
 ونرجو أن يتيح الله نصرا

فليس بنافع عدد كثير
 به مما نحاذر نستجير
 وأبى بنا إذا ولت كرور
 يقول الرمح ما هذا الخطير
 بأن دلس قتيل أو أسير
 على أن يسقرع البيض الذكور
 لخطب منه تنحسف البدور
 فقد ضاقت بما تلقى صدور
 وودع جيرة إذ لا مجير
 ويوم فيه شر مستطير
 عليهم، إنه نعم النصير

وقال ابن حمديس الصقلي يرثي ابن عباد الإشبيلي^(۱)

الطويل

جـرى بك جد بالكرام عثور
لقد أصبحت بيض الظبا في غمودها
تجئ خلافاً للأمور أمورنا
أتيسأس في يوم يناقض أمسه
وقد تنتخى^(۲) السادات بعد خمولها
لئن كنت مقصوراً بدار عمرتها
أغر الأسارى أن يقال محمد
تنافس من أغلالها في فكاكها
وكننت مسجى بالظبا من سجونها
إلى اليوم لم تذعر قطا الليل قرح
ولا راح نناد بالمكارم للغنى
لقد صننت دين الله خير صيانة
ولما رحلت بالندى في أكفكم
رفعت لسانى بالقيامة قد أتت

وجار زمان كنت فيه تجير
إنثاء لترك الضرب وهي ذكور
ويعدل دهر في الورى ويجور
وزهر الدرارى في البروج تدور
وتخرج من بعد الكسوف بدور
فقد يقصر الضرغام وهو هصور
غريب بأرض المغربين أسير
يقصم منها بالمصاب ذكور
بسور لها إن السجون قبور
يغير بها عند الصباح مغير
يقلبه في راحتين فقير
كأنك قلب فيه وهو ضمير
وقلقل رضوى منكم وثبير
ألا فانظروا هذى الجبال تسير

١ - تخريج . ديوانه ص ٢٦٨ . ويقال إن المعتمد كتب إليه وهو أسير .

غريب بأرض المغربين أسير * سيكى عليه منبر وسرير

يقتضيه الجواب فجأبه فقال هذه الأبيات .

٢ - الانتقاء . التعاظم والتكبر .

ومن ذلك قصيدة ابن عبدالصمد بكى بها على قبر ابن عباد الإشبيلي

وقال ابن الصيرفي : لما انفصل الناس من مصلى العبد الذي توفي المعتمد في شهره، حف بقبره
ملاً من الناس، يتوجعون له، ويترحمون عليه وأقبل شاعره ابن عبدالصمد في جملتهم؛ وقد اتفق
حضوره يومئذ لبعض شأنه؛ فوقف على قبره، وأنشد^(۱) :

الكامل

ملك الملوك أسامع فأنادى أم قد عدتكم عن السماع عواد
لما خلت منك القصور فلم تكن فيها كما قد كنت في الأعياد
أقبلت في هذا الثرى لك خاضعاً وتخذت^(۲) قبرك موضع الإنشاد
ثم خر يبكي ويعفر وجهه في تراب قبره قال: فبكى ذلك الملاً حتى أخضلوا ملابسهم، وارتفع
نشيجهم وعويلهم، ومتع^(۳) النهار. فله در ابن عبد الصمد، وملاً ذلك البلد وقام رثاته :

قد كنت أرجو أن تبرد أدمعي نيران حزن أضرمت بفؤادي
فإذا بدمعي كلما أجريته زادت على حرارة الأكباد
يا أيها القمر المنير أهكذا يمحي ضياء النير الوقاد
إنى لأعجب بعد فسقك كيف لا تستنكر الأسياف في الأغمار
أو يخضب الخطى بعدك ثغره أو يركع الهندي فوق الهاد^(۴)،
أو تلتقي الشجعان تحت عجاجة أو يقتضي الميدان سبق جواد

۱ - أعمال الاعلام ص ۱۶۵ وقلاند العقيان ص ۳۱

۲ - وأصلها : اتخذت حفنات الآلف .

۳ - متع النهار : ارتفع.

۴ - الهاد : العنق

قد كانت الأمداح يجعل درها
 من يفتح الأمصار بعد محمد
 من يطعن النجلاء في المراق أو
 من يترك الأسطار في الأوراق مث
 من يفهم المعنى الخفى ومن له
 من يلبس الحصداء^(۱) وهي حصينة
 ويقلد الصمصام وهو منق
 من ذا يمد على العفاة ظلاله
 من يبذل الآلاف للزوار والـ
 هيئات مات الجود بعد محمد
 ودجا الزمان وأقحطت أيامه
 مسخ الزمان بأهله فتعوضوا
 ياساكن القبر الذى فقدانه
 كنا نؤمل أن نرى لك عودة
 وتبيت خيلك فى مرابطها على
 وتمهد السلطان فى الأقطار

فى كف أى مميز نقاد
 من يعقد الرايات للقواد
 من يضرب الأخدود فى المراد^(۲)
 لالحلى فى اللبسات والأجساد
 صدق الحديث وصحة الإيراد
 وكأنما هي من عيون جواد
 بفريد إفرند وحلى نجاد
 ويبلغ الآمال كل مراد
 مداح والقصاص والرواد
 وأصاب بز^(۳) الفهم كل كساد
 فالجذب موجود بكل مراد
 من ذلك الإصلاح بالإفساد
 قتل الرجاء وفى الأعضاء
 تعطى بها الأيام كل قياد
 وعد من الإتهام والإنجاد
 للأصهار والحفداء والأولاد

۱ - طعنة نجلاء . واسعة والمراق طعنة عاجلة والأخدود خربة شديدة والمراد بتشديد الراء : العنق.

۲ - الحصداء . الذرع شديد الفتل مستحكم الصناعة.

۳ - بز الفهم : مسلوويه.

فإذا المنايا قاطعات بالمنى
 قد كان هز الرمح عطفي قده
 أفقدت عيني مذ فقدت إنارة
 ما كان ظني قبال موتك أن أرى
 الهضبة الشماء تحت ضريحه
 عهدي بملكك وهو طلق ضاحك
 والمال ذو شمل مژاد والندى
 أيام تخفق حولك الرايات فو
 والأمر أمرك والزمان مبشر
 والخيل تمرح والفوارس تنحنى
 إذ تحسب الهيجا روضاً يانعاً
 وتخال عنبرها دخان الند قد
 وكان بيض المرهفات على الطلى
 ولكم هززت الفصن من طرب لها
 وسقيت رمحك ثم من ماء الطلى

والدهر لا يردى سوى الأجواد
 وأبى الحسام العضب من إغماد
 فجالها فى ظلمة وسواد
 قبراً يضم شوامخ الأطواد
 والبحر ذو التيار والأزباد
 متهلل الصفحات للقصاد
 يهمل وشمل المجد غير مژاد^(١)
 ق كتائب الرؤساء والأجناد
 بمالك قد أذعنت وبلاد
 بين الصوارم والقنا المباد
 وترى الأزاهر من ضياء صعاد
 فغم^(٢) الأتوف وعام فوق النادى
 ورق الحسام على الغصون شواد
 وجررت أذيالاً من الأزراد^(٣)
 وروى حسامك من بنات الهاد

١ - المژاد : من اللود وهو الدفاع والحماية .

٢ - فغم : من قولهم : فغم الروح أنه : فتحه وملاه .

٣ - الإزراد : اللين .

وكأنما فى الصدر منك ربيعة
حتى إذا ما الدهر أظهر حقه
ألفت بأيديها معاقلك التى
وتهدمت أركان كل سياسة
قالوا أضاع الحزم وهي بواطل
وإذا انقضت أيام ملك فالعنا
حازت بنو العباس ملك أمية
ورأى معاوية عليها الكأ
والدهر أذهب تبعاً وجنوده
وتصاهلت بهم الجياد إلى الوغى
إذ حان حين العز أدركك الردى
لو كنت إذ ساروا بنعشك حاضراً
إنسى لأعجب من ضجيعتك^(١) التى
جاورتها فى قبرها فكأنها
راحست وأنقلك النوى من بعدها
جمعتكما آغصات فى التراب الذى

بن مكرم والحارث بن عباد^(٢)
والدهر للأحرار ذو أحقاد
ملئت من العقبان والآساد
وانهد حول الملك كل عماد
نور الحقائق للنواظر باد
فى غاية الإكثار والإعداد
وهم ذوو الأعـداد والأمداد
وعلى الليث الهزير العاد
وأزال ملك الأرض عن شداد
وتضاحك الأنجاد للأنجاد
فكأن موتك كان بالمرصاد
لرأيت تهليلاً على الأعواد
قد كان قريبك أنسها فى الناد
قد كنتما فى ذا على ميعاد
فمشيت إليها فوق نعشك غاد
وسدتما منه بأى وساد

١ - وهما كلاهما من العرب الفرسان الشجعان .

٢ - الضجيجة : هي المضاجعة معه وهي زوجته التى ماتت قبله فدفن بجوارها .

أم الملوك أما علمت بزائر
أبكى العلى والمجد فقد كما الذى
لهفى على تلك السجايا إنها
لهفى على تلك العطايا واللهم^(١)
كم نعمة خضراء قد ألبستنى
ناديت كفك طامياً مستمطراً
أخجلت فى الجود الذى دفقت حا
قد كنت لا أرضى البحار مناهلى
فى دولة غراء عبادة
ورياسة تحمى البلاد رئيسها
والبدر ترسى والثريا معلى
أغرقتنى فى بحرك الطامى الذى
وسللت فى نصرى سيوف مكارم
عادت بحاراً إذ سقيت ضحاضحى^(٢)
ومددت كفى للسكواكب قاعداً
نفقتنى والدهر يبخس قيمتى

لك ذى وفاء مخلص ووداد
لبست له الدنيا ثياب حداد
زهر الربا موشية الأبراد
كم أخجلت من واكفات غواد
ومواهب والبيتها وأباد
فقضى على ندادك باستعباد
تم طيبى؛ وفضحت كعب إباد^(٣)
زهواً ولا أرضى السماك مهادى
فلت من الأملاك كل عناد
يوماء يوم ندى ويوم جلاد
والصبح سيفى والرياح جىادى
منع الظماء ورود كل ثماد
تركبت سيوف الهند غير حداد
وغدت هضاباً إذ رفعت وهادى
فبلغتها لما غدت مصادى^(٤)
وأنفت من رخصى به وكسادى

١ - اللهى : واحداً للهوة وهي العطية والمنحة .

٢ - حاتم طى وكعب الإيادى من العرب الكرماء الأسخياء المضرب بهم المثل فى الكرم والسفاه .

٣ - الضحاضح : واحداً ضحضح وهو السراب .

٤ - المصاد : مكان الصيد وأعلى الجبل .

وأقمتني لما رأيت حوا
والجفن بعدك ليس بدرى ما الكرى
وكان قلبى فى مغالب طائر
إن لم تطب فيك المراثى والثنا
أو فزت من ذاك الجمال بنظرة
إن السيادات التي قد حزتها
ولئن مضيت فإن ذكرك خالد
يا صاحب الفقر^(١) التي قد أصبحت
راقبت وجوه الكتب بالنكت التي
لما فقدت المثل أثرك الردى
شقوا الثياب وجددوا أحزانكم
كم رد ربح الخطب عنكم ظله
لولا أمير المسلمين وفضله
والله يبقيه لكم ليصونكم
أبقى عليكم ستاره وأقالكم
كان ابن عباد صباحاً مسفراً

دث الأيام قد أسرفن فى إقعادى
فى دمعنة منهلة وسهاد
وكان جنبى فوق شوك قتاد
منى فليست بطيب المبلاد
لجعلتها حتى القيامة زادى
تركتم من فرداً بلا أنداد
يبقى مع الأيام والآباد
زهر الرصاص بصفى بغداد
منعت زنادك ثم من إصلا
ومن الصبيح تنافر الأضداد
وصلوا التلهف يا بنى عباد
وحماكم من مثل عاصف عاد
لم تكتحل أجفانكم برقاد
من كل حادثة تخاف فؤادى
قد يشفق الأمجاد للأمجاد
لغياهب إن أظلمت ودآد^(٢)

١ - الفقر : واحدها فقرة وهي نكتة من قولهم ما أحسن فقر كلامه أي نكتة .

٢ - الصلاد : الصلب الأملس الشديد ، والجمع أصلا .

٣ - الدآد : واحدها دأداء وهي ليلة شديدة الظلمة .

والطود ذو الهضبات فوق وساد
سقيبت أزاهره بصوب عهاد^(۱)
يهتز عطف الأملد المياد
صعب اللقاء على ذوي الأحساد
وفؤاده من أروع الزهاد
تر ما تخافه من الأولاد
إن العلى ميراث كل جواد
لو كان يقبل فيه منا الفادى
قبل احتلاك كان فى استعداد
والحظ ليس ينال دون جهاد
وأحب أيامى سوى الآحاد
نال المنى قوم بلا ميعاد
عرضت على الأيام صفو وداد
كتمازج الأرواح بالأجساد
من رائح متدفق أو غاد
والله يعلم ما يكن فؤادى

كم بات منه البحر تحت سكينه
ما كان إلا الروض موشي الحللى
بهتز عند الحمد معطفه كما
يا موت لم تترك حنيفاً مسلماً
قد كان من أعلى الملوك رياسة
يا موت لم تشفق لغريته ولم
مساورث الأبناء إلا مجده
كنانفدى موته بنفوسنا
يا موت كيف رأيت صبر محمد
كم رام فى رجب لقاءك جاهداً
أهوى الشهور سواء فهو أذللى
صبراً جميلاً يا بنيه فربما
إنسى نظمت لكم لآلىء قولة
ولقد تمازج حبكم بجوانحى
فستى انسكاب الغيث قبر أبيكم
ولقد رثيت وما قضيت حقوقكمو

۱ - العهاد : واحداً عهدة بفتح العين وهي مطر أول السنة .

ومن المراثي الأندلسية الرائعة

قول ابن عبدون اليابري يرثي بني الأفطس أصحاب بطليوس^(١)

البيسط

الدهر يفجع بعد العين بالآثر
أنهاك أنهـاك لا ألوك موعظة
فالدهر حرب وإن أبدى مسالة
ولا هوادة بين الرأس تأخـذه
فلا تفرنك من الدنيا نومتها
ما للليالي - أقـال الله عثرتنا -
في كل حين لها في كل جارحة
تسر بالشيء لكن كي تغربه
كم دولة وليت بالنصر خدمتها
هوت بدارا وثلت غرب قاتله
واسترجعت من بنى ساسان ما وهبت
وألحقت أختها طسماً ، وعاد على
وما أقالت ذوي الهيئات من يمن

فما البكاء على الأشباح والصور
عن نومة بين ناب اليلـث والظفر
والبيض والسود مثل البيض والسمـر^(٢)
يدا الضراب وبين الصارم الذكر
فما صناعة عينيهـا سوى السهر
من الليالي وخـانتها السـفر
منا جراح وإن زاغت عن النظر
كالإيم ثار إلى الجـاني من الزهر
لم تبق منها وسل ذكراك - من خبر^(٣)
وكان عضباً على الأملاك ذا أثر^(٤)
ولم تدع لبني يـونـان من أثر^(٥)
عاد وجـرهم منها ناقض المرـر^(٦)
ولا أجارت ذوي الغايات من مضر^(٧)

١ - تخريجها : المعجب من ١٢٩ ، القلائد من ٢٠٢ ، أعمال الأعلام من ٣٤ ، تاريخ الأدب الأندلسي من ١١٨ ، وذكر أنها في

النفخيرة - القسم الثاني - المخطوط من ٢٨٦

٢ - البيض الأولى في الأيام والثانية هي السيوف .

٣ - الضمائر كلها لليالي وهي فاعل لم تبق .

٤ - دارا : اسم ملك من ملوك الفرس وأصله داريوش قد قتله الإسكندر

اليوناني الذي تغلب على سائر الملوك من عهده ومات وله بضع وثلاثون من العمر . ٥ - بنو ساسان : هم أكاسرة فارس حكموها إلى أن فتحها المسلمون في عهد عمر رضي الله عنه ، وبنو يونان هم الأسر المالكة التي حكمت اليونان ثم انقرضت .

٦ - طسم وجديس وعاد : من قبائل العرب البائدة ، وجرهم هم أصحاب سيدنا إسماعيل عليه السلام ، وناقض المرء هو الدهر .

٧ - ذوي الهيئات : أصحاب الأحوال والجماعات ، وذوي الغايات : أصحاب الأهداف ، ومضر : من قبائل العرب القديمة في الشمال .

ومزقت سبأ في كل قاصية
 وأنفذت في كليب حكمها ورمت
 ولم تـرد على الضليل صحته
 ودوخت آل ذبيان وإخوتهم
 وألحقت بعدي بالعراق على
 وأهلكت إبرويزاً بابنه ورمت
 وبلغت يزدر الصين واختزلت
 ولم تـرد مواضي رستم وقنا
 يوم القليب بنو بدر فنوا وسعى
 ومزقت جعفرأ بالبيض واختلست
 وأشرقت بخبيب فوق فـارعة
 وخضبت شبيب عثمان دماً وخطت
 فما التقى رائح منهم بمبتكر^(١)
 مهلهلأ بين سمع الأرض والبصر^(٢)
 ولا ثنت أسداً عن ربهـا حجر^(٣)
 عبساً ، وغصت بني بدر على النهر^(٤)
 يد ابنه أحمر العينين والشعر^(٥)
 بيزدجرد إلى مرو فلم يحـر^(٦)
 عنه سوى الفرس جمع الترك والخزر
 ذي حاجب عنه سعداً في ابنة الغير^(٧)
 قليب بدر^(٨) بمن فيه إلى سقر
 من غيلة حمزة الظلام للجزر^(٩)
 وألصقت طلحة الفياض بالعفر^(١٠)
 إلى الزبير ولم تستحي من عمر^(١١)

١ - سبأ : قوم حكموا اليمن ونوا بها سد مأرب وعصوا ربهـم فمزقهم ويدهم ، والمبتكر : الذي يخرج مبكراً وهو ضد الرائح الذي يخرج مساء .
 ٢ - كليب : هو ابن ربيعة من وائل وقتله جساس أحد بني تغلب فنشأت حرب البسوس بين القبيلتين دامت أربعين عاماً .
 ٣ - الضليل : هو لقب إمرئ القيس ، وأسـد قبيلته التي قتلت أباه حجراً . ٤ - إشارة إلى حرب داخس والفبراء التي كانت بين عبس وذبيان وبدر بطن من ذبيان . ٥ - عدي بن زيد العبادي الشاعر : حبسه ملك الحيرة ثم قتله ، فشكا ابنه زيد بن عدي إلى كسرى برويز الذي قتل ملك الحيرة ، وكان قد ألقاه بين أرجل القبلة فوطئته حتى مات ، أحمر العينين والشعر : هو القيل .
 ٦ - إبريز أو بـرويز بن هرمز : هو كسرى فارس قتله ابنه شيرويه ، ويزجرد : هو آخر ملوك فارس قتل في معركة هربية مع المسلمين . ٧ - رستم الأرمني : كان قائد جيش الفرس يوم القانسية ، وذى حاجب : هو خرداذبه صاحب الراية يوم القانسية وكان قائد الجيش الإسلامي سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه . ٨ - يوم القليب : يوم بدر قتل فيه المشركون .

٩ - جعفر : هو ابن أبي طالب استشهد يوم مؤتة ، وحمزة : هو ابن عبد المطلب وعم رسول الله ص استشهد يوم أحد ، وظلام الجزر : كناية عن الصخي والكـرم .
 ١٠ - خبيب بن عدي الأنصاري رضي الله عنه استشهد مصلولياً بمكة ، وطلحة بن عبد الله

التميمي رضي الله عنه أحد العشرة المبشرة بالجنة قتل يوم الجمل ، وفارعة : طويلة .

١١ - إشارة إلى استشهاد عمر وعثمان والزبير رضي الله عنهم .

- ولا رعت لأبى الیقظان صحبته
وأجزرت سيف أشقأها أبا حسن
وليتها إذ فدت عمراً بخارجية
وفي ابن هند وفي ابن المصطفى حسن
فبعضنا قائل ما اغتاله أحد
وأردت ابن زياد بالحسين فلم
وعملت بالظبي فودی أبی أنس
وأنزلت مصعباً من رأس شاهقة
ولم تراقب مكان ابن الزبير ولا
وأعملت في لطيم الجن حيلتها
ولم تدع لأبى الذبان قاضيه
- ولم تزوده إلا الضيع في الفمر^(١)
وأمكنك من حسين راحتي شعر^(٢)
فدت علياً بمن شاء من البشر^(٣)
أتت بمعضلة الأسباب والفكر^(٤)
وبعضنا ساكت لم يؤت من حصر^(٥)
يبؤ بشع له قد طاح أو ظفر^(٦)
ولم ترد الردى عنه قنا زفر^(٧)
كانت بها مهجة المختار في وزر^(٨)
راعت عيباً ذته بالبيت والحجر^(٩)
واستوسقت لأبى الذبان ذی البخر^(١٠)
ليس اللطيم لها عمرو بمنتصر^(١١)



- ١ - أبو الیقظان : كنية عمار بن یاسر رضي الله عنه . قتل يوم صفين .
٢ - يشير إلى استشهاد علي وابنه الحسين رضي الله عنهما . وأشقى البرية : هو ابن ملجم . وشمر ذو الجوشن قاتل حسين رضي الله عنه .
٣ - اتفق الخوارج على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهم . فقتل ابن ملجم علياً رضي الله عنه . والحجاج بن عبد الله الصريمي فشل وفيما أراد . وأخطأ زانويه الفارسي فقتل خارجة بدل عمرو .
٤ - ابن هند : هو معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه . وحسن : هو ابن علي رضي الله عنهما . ومعضلة : مشكلة صعبة .
٥ - الحصر العمي وفيه إشارة إلى ما ارتاب المسلمون في ميته الحسن رضي الله عنه .
٦ - ابن زياد : هو عبيد الله . ولم يبؤ : لم يرجع . والشع : رباط النعل .
٧ - أبو أنس : هو الضحاک بن قيس الفهري قتله عبد الملك بن مروان يوم مرج راهط وفر صاحبه زفر بن الحارث الكلبي . والظبي جمع ظبية وهي حد السيف أو السيف نفسه . وفود : هو جانب الرأس . والردى هو الهلاك .
٨ - يشير إلى قتل مصعب بن الزبير رضي الله عنه . والمختار بن عبيد الله الثقفي .
٩ - إشارة إلى قتل عبد الله بن الزبير رضي الله عنه العائد ببيت الله .
١٠ - لطيم الجن : هو عمرو بن سعيد الأموي الأشدق وأبو ذبان : هو عبد الملك بن مروان . والبخر : النتن .
١١ - القاضب : السيف ويريد أن يقول : إن الليالي لم تدع لعبد الملك سيفه . كما أنها لم تسمح لعمرو الأشدق أن ينتصر .

وأحرقـت شلو زيد بعد ما احترقت
وأظفرت بالوليد بن يزيد ولم
حـبابة حب رمان أتيـح لها
ولم تعد قـضب السفاح نائـبة
وأسـبلت دـمعة الـروح الأـمين على
وأشـرقت جـعفرأ والفضل ينظره
وأخـفرت في الأـمين العـهد ، وانتدبت
وما وفـت بعـهود المستعـين ولا
وأوثـقت في عـراها كل معتمد
وروعت كل مأمون ومؤتمن
وأعـثرت آل عـباد لعـالهم
بنـي المظفر والأـيام - لا نزلت -
سـحقاً ليومكم يوماً ولا حـملت
مـن للأسـرة ، أو من للأعنة ، أو
من للظبي وعـوالى الخـط قد عقدت
وطوقت بالمنايا السود بيضهم

عليه جداً قلوب الآي والسور^(١)
تبق الخـلافة بين الكأس والوتر^(٢)
وأحمر قـطـرته نفحة القطر^(٣)
عن رأس مروان أو أشياعه الفجر^(٤)
دم بفخ لآل المصـطـفـى هـدر^(٥)
والشيخ يحيى بريق الصارم الذكر^(٦)
لجعفر بابنه والأعبد الفدر^(٧)
بـما تـأكـد للمعتز من مرر
وأشـرقت بـقـذاها كل مقتدر
وأسلمت كل منصور ومنـتـصر
بذيل زياء لم تنفر من الذعر^(٨)
مـراحـل ، والورى منها على سفر^(٩)
بـثـله لـيلة في غابر العمر
من للأسنة يهديها إلى الشفر
أطراف ألسنها بالعي والخصر
فاعجب لذاك وما منها سوى الذكر

١ - زيد ابن علي بن الحسين رضي الله عنهم خدعه الكوفيون فقتل سنة ١٢٢ هـ ، والشلو : العضو .

٢ - يشير إلى الوليد بن يزيد الأموي وكان مسرفاً في شهواته . ٣ - حـبابة هي فينة يزيد بن عبد الملك الأموي ، ورظنها ابن عبيد
للولايد وليس كذلك .

٤ - والسفاح : هو أبو العباس الخليفة العباسي الأول ، ومروان هو

آخر الخلفاء الأمويين ، وقضب جمع قاضب وهو السيف . ٥ - فخ : موضع قرب مكة قتل به ثلاثة من أهل البيت .

٦ - إشارة إلى البرامكة ونكبتهم . ٧ - إشارة إلى أولاد هارون العباسي ، وفي الأبيات التالية إشارة إلى

مقاتل الخلفاء العباسيين . ٨ - (عـا) كلمة يعبر بها عن التوجع .

٩ - بنو المظفر : هم بنو الألفطس ، وهم عمر المتوكل وابناه الفضل : العباس .

من للبراعة أو من للبراعة أو
 أو دفع كارثة أو ردع آفة
 وب السماح ووب البأس لو سلما
 سقت ثرى الفضل والعباس هامية
 ثلاثة ما رأى السعدان مثلهم
 ثلاثة ما ارتقى النسران حيث رقا
 ثلاثة كذوات الدهر منذ نأوا
 ومر من كل شيء ، فبسه أطيبه
 أين الجلال الذى غضت مهابته
 أين الإباء الذى أرسوا قواعده
 أين الوفاء الذى أصفوا شرائعه
 كانوا رواسى أرض الله ، منذ مضوا
 كانوا مصابيحها فمذ خبوا عثرت
 كانوا شجى الدهر فاستهوتهم خدع
 ويلمه من طلوب الثأر مدركه
 من لى ولا من بهم إن أظلمت نوب

من للسماحة أو للنفع والضرر
 أو قمع حادثة تعيا على القدر
 وحسرة الدين والدنيا على عمر
 تعزى إليهم سماحاً لا إلى المطر
 واخبر ولو عززا في الحسوت بالقمر
 وكل ما طار من نسر ولم يطر
 عنى ، مضى الدهر لم يرجع ولم يحر
 حتى التمتع بالأصال والبكر
 قلوبنا وعيون الأنجم الزهر
 على دعائم من عز ومن ظفر
 فلم يرد أحد منها على كدر
 عنها استطارت بمن فيها ولم تقر
 هذى الخليفة بالله في سدر
 منه بأحلام عاد في خطى الحضر
 منهم بأسد سرة في الوغى صبر
 ولم يكن ليلها يفضى إلى سحر

من لى ولا من بهم إن عطلت سنن
 من لى ولا من بهم إن أطبقت محن
 على الفضائل إلا الصبر بعدهم
 يرجو عسى وله فى أختها أمل
 قرطت آذان من فيها بفاضة
 سيارة فى أقاصى الأرض قاطعة
 مطاعة الأمر فى الأبواب قاضية

وأخفيت السن الآثار والسير
 ولم يكن وردها يدعو إلى صدر
 سلام مرتقب للأجر منتظر
 والدهر ذو عقب شتى وذو غير
 على الحسان حصى الباقوت والدرر
 شقاشقاً هدرت فى البدو والحضر
 من المسامع ما لم يقص من وطر

قصيدة أبي البقاء الرندي في رثاء الأندلس^(١)

ولله در الإمام العالم العلامة خاتمة أدباء الأندلس، أبي الطيب^(٢) صالح ابن شريف الرندي (رحمه الله) إذ قال يندب بلاد الأندلس، ويبعث العزائم ويحركها من أهل الإسلام لنصرة الدين، وإنقاذ البلاد من يد الكافرين، ولسان الحال ينشده، ولقد أسمعت لو ناديت حيا،

(البسيط)

لـكـل شـيء إذا ما تم نقصـان	فـلا يغـرب طـيب العـيش إنـسان
هـي الأـمـور كـما شـاهـدتها دـول	مـن سـرـه زـمـن سـاءتـه أـزـمـان
وهـذه الدار لا تـبـقى عـلى أـحـد	ولا يـسـدوم عـلى حـال لـها شـان
يـمـزق الـدـهر حـتـما كـل سـابـغة	إذا نـبت مـشـرفـيات وخرصـان ^(٣)
ويـنتـضـي كـل سـيف لـلقنـاء ولو	كان ابـن ذى يـزن والغـمد غـمدان ^(٤)
أين المـلـوك ذـو الـتـيجـان مـن يـمن	وأين مـنهم أكـاليل وتـيجـان
وأين مـا شـاد شـداد فـى إـرم	وأين مـا سـاسه فـى الفـرس سـاسـان ^(٥)
وأين مـا حـاز قـارون مـن ذـهب	وأين عـاد و شـداد وقـحـطان
أتى عـلى الكـل أـمر لا مـرد له	حـتى قـضوا فـكـأن القـوم مـا كـانوا
وصار مـا كـسان مـن مـلك ومـن مـلك	كـما حـكى عـن خـيال الطـيف وسـنان
دار الـزـمان عـلى دارا وقـساتـه	وأـم كـسرى فـما آواه إيـوان ^(٦)



- ١ - تخريجها: أزهار الرياض ٤٧/٣ ونفع الطيب ٢٢٢/٦.
- ٢ - رندي: أبي البقاء كما في النسخ وقد مر.
- ٣ - المشرفيات: السيوف المنسوبة إلى مشارف اليمن والخرصان: الرماح وواحد خرص.
- ٤ - غمدان اسم قصر كان لسيف بن ذى يزن من تبابعة اليمن.
- ٥ - ساسان: أسرة من الأسر المالكة لفارس.
- ٦ - دارا: اسم ملك من ملوك الفرس وكسرى من ألقابهم وإيوان اسم قصرهم.

يوماً ولا ملك الدنيا سليمان
وللزمان ميسرات وأحزان
وما لما حل بالإسلام سلوان
هـوى له أحد وانهد ثهلان^(١)
حتى خلت منه أقطار وبلدان
وأين شاطبة أم أين جيان
من عالم قد سما فيها له شان
ونسهرها الممذب فياض وملآن
عسى البقاء إذا لم تبق أركان
كما بكى لفراق الإلف هيمان^(٢)
قد أسلمت ولها بالكفر عمران
فيهن إنا نراقيس وصلبان
حتى المناير ترثى وهى عيـدان
إن كنت فى سنة فالدهر يقظان
أبعد حمص تفر المرء أوطـان
وما لها مع طول الدهر نسـيان

كانما الصعب لم يسهل له سبب
فجائع الدهر أنوع متنوعة
وللحوادث سلوان يهونها
دهى الجزيرة أمر لا عزاء له
أصابها العين فى الإسلام فارتزنت^(٣)
فاسأل بلنسية ما شأن مرسية
وأين قرطبة دار العلوم فكم
وأين حمص^(٤) وما تحويه من نزه
قواعد كن أركان البلاد فما
تبكى الحنيفة البيضاء من أسف
على ديار من الإسلام خالية
حيث المساجد قد صارت كنائس ما
حتى المحارب تبكى وهى جامدة
يا غافلاً وله فى الدهر موعظة
وما شياً مـرحاً يلهيه موطنه
تلك المصيبة أنست ما تقدمها

١ - أحد وثهلان من أسماء الجبال فى بلاد العرب.

٢ - فارتزنت: أى انتقصت : من قولهم: ارتزأ الشيء أى انتقص.

٣ - حمص الأندلس: هى إشبيلية كانت عاصمة بنى عباد.

٤ - الإلف: المؤلف المحبوب والهيمن: المحب الشديد الوجد.

يأبها الملك البيضاء رايتها
 باراكين عتاق الخيل ضامرة
 وحاملين سيوف الهند مرهفة
 وراتعين وراء البحر في دعة
 أعندكم نبأ من أهل أندلس
 كم يستغيث بنو المستضعفين وهم
 ما ذا التقاطع في الإسلام بينكم
 ألا نفوس أبيات لها همم
 يا من لذلة قوم بعد عزهم
 بالأمس كانوا ملوكا من منازلهم
 فلو تراهم حيارى لا دليل لهم
 ولو رأيت بكاهم عند بيعهم
 يا رب أم وطفل حيل بينهما
 وطفلة ما رأتها الشمس إذ برزت
 يقودها العليج^(٢) للمكروه مكرهه
 لمثل هذا يذوب القلب من كمد

أدرك بسيفك أهل الكفر لا كانوا
 كأنها في مجال السبق عقبان^(١)
 كأنها في ظلام النقع نيران
 لهم بأوطانهم عز وسلطان
 فقد سرى بحديث السقوم ركبان
 أسرى وقتلى فما يهتز إنسان
 وأنتم يا عباد الله إخوان
 أما على الخير أنصروا وأعوان
 أحال حالهم كفر وطغيان
 واليوم هم في بلاد الكفر عبدان
 عليهم من ثياب الذل ألوان
 لهالك الأمر واستسهوتك أحزان
 كما تفرق أرواح وأبدان
 كأنها ياقوت ومـرجان
 والعين باكية والقلب حيران
 إن كان في القلب إسلام وإيمان

١ - عقبان جمع عقاب من كواسر الطير قوى الخالب يطلق على الذكر والأنثى وأيضا يجمع أعقب.

٢ - العليج من الرجال الشديد الجاف غير المثقف ويريد به النصراني الأفرنجي.

وقال بعضهم يرثي المدن الأندلسية^(١)

الكامل

نادتك أندلس قلب نداءها
صرحت بدعوتك العلية فأجبتها
واشدد بجلبك جرد خيلك أزرها
هي دارك القصوى أوت لإيالة^(٢)
وبها عبيدك لا بقاء لهم سوى
خلعت قلوبهم هناك عزاءها
دفعوا لأبكار الخطوب وعونها
وتنكرت لهم الليالي فاقتضت
تلك الجزيرة لا بقاء لها إذا
رش أيها المولى الرحيم جناحها
أشفى على طرف الحياة ذمها
حاشاك أن تفنى حشاشتها وقد
طافت بطائفة الهدى آمالها
واستشرفت أمصارها لإمارة
يا حسرتي لعقائل معقولة
إيه بلنسية وفي ذكراك ما

واجعل طواغيت الصليب فداءها
من عاطفاتك ما يقى حوباها^(٣)
تردد على أعقابها أرزاءها
ضمنت لها مع نصرها إيواءها
سبل الضراعة يسلكون سواءها
لما رأت أبصارهم ما ساءها
فهم الغداة يصابرون عناءها
سراءها وقضت لهم ضراءها
لم يضمن الفتح القريب بقاءها
واعقد بأرشية النجاة^(٤) رشاءها
فاستبق للدين الحنيف^(٥) ذمها
قصرت عليك نداءها ورجاءها
تـرجو بيحي المرتضى إحياءها
عقدت لنصر المستضام لواءها
سئم الهدى نحو الضلال هداها
يمرى الشؤون دماءها لا ماءها

١ - تخريج: نفح الطيب ٢٨١/٨.

٢ - الحوياء: النفس والجمع حويات.

٣ - الإيالة: قطعة من أرض دولة يحكمها وال من قبل الملك.

٤ - الرشاء: العبل والجمع أرشية ورش صيغة الأمر من ريش ريشاً أى قواه وأعانه وأصلح حاله.

٥ = الذماء والحشاشة بقية الروح.

كيف السبيل إلى احتلال معاهد
والى ربا وأباطح لم تعر من
طاب المعرس والمقسيل خلالها
بأبى مدارس كالطلول دوارس
ومصانع كسف الضلال صباحها
ناحت بها الورقاء تسمع شدوها
عجبا لأهل النار حلواجنة
أملت لهم فتعجلوا ما أملوا
بعداً لنفس أبصرت إسلامها
أما العلوج فقد أجالوا حالها
أهدى إليها بالكاره جارح
وكفى أسى أن الفواجع جمعة
هيهات فى نظر الإمارة كف ما
مولاي هياك معادة أنباءها
جرّد ظباك لمحوا آثار العدا
واستدع طائفة الإمام لغزوها

شب الأعاجم دونها هيجاءها^(١)
حلل الربيع مصيفها وشتاءها
وتطلعت غرر المنى أثناءها
نسخت نواقيس الصليب نداءها
فيخاله السرائى إليه مساءها
وغدت ترجع نوحها وبكاءها
منها تمد عليهم أفياءها
أيامهم لا سوغوا إملاءها
فتوكفت عن حزبها إسلاءها^(٢)
فمن المطيق علاجها وشفاءها
للكفر كره ماءها وهواءها
فمتى يقاوم أسوها أسواءها^(٣)
تخشاه، لبت الشكر كان كفاءها
لتنيل منك سعادة أبناءها
تقتل ضراغمها وتسبب ظباءها
تسبق إلى أمثالها استدعاءها

١ - شب الهيجاء أى آثار الحرب.

٢ - بعداً : دعاء عليها وتوكفت : انحرقت وأعرضت، حزبها : شدتها والإسلاء من قولهم أسلى معه أى كشفه عنه.

٣ - أسواء جمع سوء وهو وسط الشئ ونظيره الأسر من قولهم أسا الشئ يأسوه أسواً أى عالجه وداواه والأسى الحزن والهم، يقول إن الأحزان كثيرة متشابهة فكيف علاجها وداؤها؟

لا غرو أن يعزى الظهور لليلة
 إن الأعاجم لسلا عارب نهبة
 تالله لو دبت لها دبابها
 ولو استقلت عوفها لقتالها
 أرسل جوارحها تجنك بصيدها
 هبوا لها يا معشر التوحيد قد
 إن الحفائظ من خلالكم التى
 هى نكتة المحب فحيها لابلها
 أولسوا الجزيرة نصرة إن العدا
 نقصت بأهل الشرك من أطرافها
 حاشاكمو أن تضمروا إلغاءها
 خوضوا إليها بحرها يصبح لكم
 وفى الصريخ مشوبا يدعولها
 دار الجهاد فلا تفتكم ساحة
 هذى رسائلها تناجى بالتى
 ولربما أنهت سسوال للنهى

لم يبرحوا دون الورى ظهراها^(١)
 مهما أمرت بغزوها أحياءها
 لطوت عليها أرضها وسماءها
 لاستقبلت بالمقربات عفائها
 صيدا ونا دل طحنها أرحاءها
 أن الهبوب وأحرزوا عليهاها
 لا يرهب الداعي بهن خلاها
 تجدوا سناها فى غد وسناها
 تبغى على أقطارها استيلاءها
 فاستحفظوا بالمؤمنين نماءها
 فى أزمة أو تضمروا إقصاءها
 رهوا وجوبوا نحوها بيضاءها
 فلتجملوا قصد الشواب ثواءها
 ساوت بها أحياءها شهداءها
 وقفت عليها ريشها ونجاءها^(٢)
 من كائنات حملت أنهاها^(٣)

١ - لا غرو: لا عجب ويعزى: ينسب والظهور: القلبة والنصر والظهراء جمع ظهير وهو الغالب المنتصر يقول إن انتصار المسلمين لن يكون غريبا لأنهم لا يزالون غالبين دون غيرهم من الشعوب والأمم.

٢ - الريث: البطة والنجاء: السرعة

٣ - السوالب جمع سالة وهى النواهى والأنهاء جمع نهى بكسر النون وفتحها وهو الموضع له حاجز يمنع الماء أن يفيض منه والجمع أنهاء والنهى بضم النون جمع النهية وهى العقل.

وفدت على الدار العزيزة تجتنى
 من تسقيات من غيوث غيباتها
 قد أمنت في سبلها أهواءها
 وبحسبها أن الأمير المرتضى
 في الله ما ينويه من إدراكها
 بشرى لأن تدلس تحب لقاءه
 صدق الرواة المخبرون بسانه
 إن دوح العرب الصعاب مقادة
 فكان بفيلقه العرمرم فالقا
 أنذرهم بالبطشة الكبرى فقد
 لا يعدم الزمن انتصار مؤيد
 ملك أمم النيرين بنوره
 خضعت جبايرة الملوك لعزه
 أبقى أبو حفص أمارته له
 سل دعوة المهدي عن آثاره
 فغزا عداها واسترق رقابها

آلاءها أو تجتلى آراءها
 ما وقعته يتقدم استسقاءها
 إذ سوغت في ظلها أهواءها
 مترقب بفتوحها أنساها
 بكلاءة^(١) يفدى أبى أكلاءها
 ويحب في ذات الإله لقاءها
 يشفي ضناها أو يسعد رواءها
 وأبى عليها أن تطيع إباءها
 هام الأعاجم ناسفاً أرجاءها^(٢)
 نذرت صوارمه الرقاق دماءها
 تتسوغ الدنيا به سراءها
 وأفاده لألاؤه^(٣) آلاءها
 ونضت بكف صفارها خيلاءها
 فسما إليها حاملاً أعباءها
 تنبيك أن ظباه قمن إزاءها
 وحى حماها واسترد بهاها

١ = الكلاءة: العربون والنسيئة والصون.

٢ = الفيلق العرمرم: الجيش العظيم والأرجاء جمع رجا وهي الناحية.

٣ = الللاء: النجم أو البرق.

قبضت يداه على البسيطة قبضة
 فعلى المشارق والمغارب ميسم
 تطموتونسها بحارجيوشه
 وسع الزمان فضاق عنه جلالة
 ما أزمع الإيغال في أكنافها
 دانت له الدنيا وشم ملوكها
 ردت سعادتته على أدرجها
 إن يعتم الدول العزيزة بأسه
 تقع الجلائل وهو راس راسخ
 كالطود في عصف الرياح وقصفها
 سامى الذوائب في أعز ذؤابة
 بركت بكل محلة بركاته
 كالغيث صب على البسيطة صوبه
 ينميه عبد الواحد الأرضى إلى
 في نبعة كرمات وطابت مفرساً
 ظهرت لمحتدها السماء وجاوزت

قادت له في قده أمراءها
 لهداه شرف وسمه أسماءها
 فيزور زاخر موجهها زورهاها
 والأرض طرا ضنكها وفضاءها
 إلا تصيد عزمه زعماءها
 فاحتل من رتب العلا شماءها
 ليل الزمان ونهنت غلواءها
 فالآن يولى جوده إعطاءها
 فيها يوقع للسعود جلاءها
 لا رهوها يخشى ولا هوجاءها
 أعلت على قمم النجوم بناءها
 شفعا يبادر بذلها شفعاها
 فسقى عمائرها وجادقواها
 عليا فتجنح بأسها وسخاءها
 وسمت وطالت نضرة نظراءها
 لسرادقات فخارها جوزاءها

فئة كرام لا تكف عن الوغى
وتكب فى نار القرى فوق الذرا
قد خلقوا الأيام طيب خلأثق
ينضون فى طلب أنفساً
وإذا انتضوا يوم الكربة بيضهم
لا عذر عند المكرمات لهم متى
قوم الأمير فمن يقوم بمالهم
صفحا جميلا أيها الملك الرضى
تقف القوافى دونهن حسيرة
فلعل علياكم تسامح راجيا

حتى تصرع حولها أكفأها
من عزة ألوياها وكبأها
فشنت إليهم حمدا وثناها
حبسوا على إحرازها أمضاءها
أبصرت فيهم قطعها ومضاءها
لم تستبين لعفاتهم عذراءها
من صالحات أفحمت شعراءها
عن محكمات لم نطق إحصاءها
لا عيبها تخفى ولا إعياءها
إصفاها ومؤملا إغضاءها

ميمية ابن العربي العقيلي في رثاء غرناطة

(البسيط)

مولي الملوك ملوك العرب والعجم
بك استجرنا ونعم الجار أنت لمن
حتى غدا ملكه بالرغم مستلبا
حكم من الله حتم لا مرد له
وهي الليالي وقاك الله صولتها
كنا ملوكا لنا في أرضنا دول
فأيقظتنا سهام للردى صيب
فلا تنم تحت ظل الملك نومتنا
يبكى عليه الذي قد كان يعرفه
كذلك الدهر لم يبرح كما زعموا
وصل أواصر قد كانت لنا اشتبكت
وابسط لنا الخلق المرجو باسطه
لا تأخذنا بأقوال الوشاة ولم
فما أطقنا دفاعا للقضاء وما
ولاركويايا زعاج لسابعة

رعبا لما مثله يرعى من الذمم
جار الزمان عليه جور منتقم
وأفزع الخطب ما يأتي على الرغم
وهل مرد لحكم منه منحتم
تصول حتى على الآساد في الأجم
فمنا بها تحت أفنان من النعم
يرمى بأفجع حتف من يهن رمى
وأى ملك بظل الملك لم ينم
بأدمع مزجت أمواها بدم
بشم بو الصغار الأنف ذا الشم^(٢)
فالملك بين ملوك الأرض كالرحم
واعطف ولا تنحرف واعذر ولا تلم
نذنب ولو كثرت أقوال ذى الوخم^(٣)
أرادت أنفسنا ما حل من نقم
في زاخر بأكف الموج ملتطم

١ - تخريجها : قدرواها المقرئ في أزهار الرياض ١٧٢/١ ونفع الطيب ٢٥٠/٦

٢ - البوق جلد الحوار يحشى تبنا ونحوه لتعطف عليه أمه فتدر.

٣ - الوخم: الثقل من الرجال.

طفـل تشكى بفقد الأم في البيت
 فإن محروسه لحم على وضم^(١)
 في جحفل كسواد الليل مرتكم^(٢)
 أن ابنه البر قد أشفى على الرجم^(٣)
 أجاره من أعاريب ومن عجم^(٤)
 أسدى إليه من الآلاء والنعم
 وخط مسطورها في اللوح بالقلم
 وعد أحرارنا في جملة الخدم
 ضيف ألم بفاس غير محتشم
 بنا إليها خطا السوخادة الرسم^(٥)
 في النفس والأهل والأتباع والحشم
 والخيل عالة الأشداق للجم
 ما أبيض من سبل واسواد من لم^(٦)
 ولا ترى متن لـدن غير منحطم
 سوي على الصون للأطفال والحرم
 يخال جامحها يقتاد بالخطم^(٧)

والمرء ما لم يعنه الله أضيع من
 وكل ما كان غير الله يحرسه
 كن كالسموئل إذ سار الهام له
 فلم يبع أدرع الكندي وهو يرى
 أو كالمعلّى مع الضليل الأروع إذ
 وصار يشكره شكراً يكافئ ما
 ولا تعاتب على أشياء قد قدرت
 وعد عما مضى إذ لا ارتجاع له
 إيه حنانيك يا بن الأكرمين على
 فأنت أنت ولولا أنت ما نهضت
 رحماك يا راحما ينمى إلى رحما
 فكم مواقف صدق في الجهاد لنا
 والسيف يخضب بالمحمر من علق
 ولا ترى صدر غضب غير منقصف
 حتى دهبنا بدهب لا اقتدار بها
 فقال من لم يشاهدها فريتما

١ - الوضم : خوان القصاب أي ما يقطع عليه اللحم ويعدّه.

٢ - الجحفل : الجيش العظيم والمرتكم : المتراكم

٣ - الرجم : جمع الرجمة وهي حجر توضع على القبر وقد أراد الشاعر القبر نفسه .

٤ - المعلّى رجل من بني تميم كان قد أجار الملك الضليل امرئ القيس

٥ - السوخاد الرسم هي الناقة السريع السير التي تؤثر في الأرض من شدة الوطء .

٦ - السبل : شعر اللحية واللحم واحدها التمة وهي شعر الرأس الذي يلم بالمنكبين .

٧ - الجامح : الفرس العائى من قولهم : جمع الفرس جموحا إذا عتا عن أمر صاحبه حتى غلبه، والخطم مقدمة الأنف والمنقار.

هيهات لو زينت الحرب كان بها
تالله ما أضمرت غشا ضمائرنا
لكن طلبنا من الأمر الذي طلبت
فخانتنا عنده الجدد الخئون ومن
فاسود ما اخضر من عيش دهرته عداءً
وشتت البين شملاً كان منتظماً
فرب مبني شديد قد أناخ به
قمنا لديه أصيلاً نائله
وما ظننا بأن نبقي إلى زمن
لكن رضا بالقضا الجاري وإن طويت
لبيك يا من دعانا نحو حضرته
وأعطى الأمن الذي رصت قواعده
خليفة الله وإفاك العبيد فكن
وبين أسلافنا ما قد علمت به
وأنت منهم كأصل مطلع غصناً
وقد خطوت خطاهم في مآثرهم

أعيا يداً من يد جالت على زلم^(١)
ولا طوت صحة منها علي سقم
ولاتنا قبلنا في الأعصر الدهم
تقعد به نكبات الدهر لم يقم
بالأسمر اللدن أو بالأبيض الخدم^(٢)
والبين أقطع للموصول من جلم^(٣)
ركب البلا فقصرته أدمع الديم
أعيا جواباً وما بالسرير من أرم
نرى به غرر الأحياب كالحمم^(٤)
منا الضلوع على بصرح من الألم
دعاء إبراهيم الحجاج للحرم
على أساس وفاء غير منهمدم
في كل فضل وطول عند ظنهم
من اعتقاد بحكم الإرث مقتسم
أو كالشراك الذي قد قد من آدم
فلم يذموا إذن فيها ولم تدم^(٥)

١ - زينت الحرب الناس : صدمتهم ودفعتهم والزلم بفتح الزاي واللام السهام

٢ - الأسمر اللون : الرمح والأبيض الخدم : السيف القاطع.

٣ - الجلم المقراض والجمع جلام .

٤ - الفرد واحداً غرة وهي بياض الجبين والعمم واحداً حمة وهي الفحم الأسود.

٥ - لم تدم على صيغة المجهول لم تعب

وصيت مولي الوري الشيخ الإمام غدا
 سلاله الأمراء ، الجليلة الكبرا
 بنو مرين ليوث في عرين أبوا .
 النازلين من البيضا ، وسط حمي
 والجائسين بدهم الخيل كل ذرى
 يريك فارسهم إن هز عامله
 لبثا على أجدل عار من أجنحة
 في اللام يدغم من عسالة ألفاً
 أهل الحفيظة يوم الروع يحفظهم
 بأس تطير شرار منه محرقة
 هم بطائفة التلث قد فتكوا
 وإن يلثمهم يوم الوغى رهج
 تضى آراؤهم في كل معضلة
 هذا ولو من حياء ذاب محتشم
 طابت مدائحهم إذ طابت أنفسهم
 لك درهم والسحب باخلة

في الناس أشهر من نار على علم
 ، العلية الظهراء ، القادة البهم^(١)
 رؤيا قرين لهم في البأس والكرم
 أحصى من الأبلق السامي ومن إرم
 والداعسين بسمر الخط كل كمي^(٢)
 في مازق بلظى الهيجاء مضطرم
 يسطو بأرقم لداع بغير فم
 ولم نجد ألفاً أصلاً بمدغم^(٣)
 من عصمة الله ما يرى على العصم
 لكل مدرع بالحزم محتزم
 كمثل ما يفتك السرحان بالغنم
 أنسوك ما ذكروه عن ذوى اللثم
 إضاءة السرج في داج من الظلم
 لذاب منهم حياء كل محتشم
 فاشتقت النسمات اسما من النسم
 بدرهن على الأنعام والنعم

١ - الظهراء جمع ظهير وهو نصير وغالب والقادة البهم الأبطال الشجعان

٢ - الجائس المغوار الداعس الطاعن .

٣ - حامل الرمح صدره والمأزق مكان الحرب الضيق والظلي النار الملتهب

٤ - اللام واللأمة: الدرع والعسال الرمح اللدن .

بحيث الأفق يرى من لون حمرة
هناك تنهل أيديهم بصوب حيا
وإن بيتي زياد طالما ذكرنا
« أحلام عاد وأجساد مطهرة
يسرون حقاً عليهم حفظ جارهم
فروعه^(١) بالدواهي لا يراع ولا
هم البحار سماحاً غير أن بها
وليس يسلم من حتف محاربهم
كم فيهم من أمير أوحد ندس
ولا كسبب أبي حسون من حسنت
هذاكم ابن أبي زكري الهمام فقل
خليفة الله حقاً في خليفته
مهما تنرقسمات منه نيرة
فوجهه بدجى وكفه بجدا
وفضله وله الفضل المبين جري
وجوده المتوالى للبري ما

كالشيب يخضب بالحناء والكتم^(٢)
يحى بالأحداث ما فيها من الرمم
إذا ألمت أحاديث بذكرهم^(٣)
من المعقنات والآفات والإثم
فلم يضر نازل فيهم ولم يضم
يغم منها بما يعرو من الغمم
ما قد أناف على الأطواد من همم
حتى يكون إليهم ملقى السلم
يقرطس الغرض المقصود بالفهم^(٤)
أمداحه حسن ما فيه من الشيم
في أصله المنتقى من مجده العمم^(٥)
كنائب نواب في حكم عن الحكم
تنل بنان له ما جل من نعم^(٦)
أبهى من الزهر أو أندى من الديم^(٧)
كجري الأمثال في الأقطار والأمم
وجوده بينهما طراً بمنهدم

١ - الكتم بفتح الكاف والتاء نبت يستعمل في خضاب الشعر.

٢ - زياد هو نابغة الذبياني والمعقة العقوق وقبل بيت الذبياني هذا:

هم الملوك وأبناء الملوك لهم فضل على الناس في اللأواء والنعم

٣ - البردع موضع الفزع من القلب.

٤ - الفطن الفطن ويقرطس الغرض أى يصيبه

٥ - العمم التام

٦ - ويرى مهما نشم نسيمات ه وتتل بنازلة بمسحات الوجه محاسن

٧ - النجى الظلمة والجدا العطاء والديم جمع ديمة وهي مطر متسلسل يدوم أياماً.

إذا ابتغت نعما منه العفاة له^(١)
 وإن يعبس زمان في وجوههم
 وجهه تبين سمات المكرمات به
 وراحة لم تزل في كل آونة
 لله ما التزمته من نوافله
 أنسى الخلائف في حلم وفي شرف
 فجاز مسعماً منهم ومعتضداً
 وناصر الدين في الإقبال فاق وفي
 أفعال^(٢) أعدائه معتلة أبداً
 فويل أهل الفلا من حية ذكر
 راموا عداوة من إن شاء غادرهم
 فسوف يأكلهم من جيشه لجب
 وإن الأعراب إذ ساروا لغابته
 وهم كما قاله ماض: أرى قدمي
 فقل إذن للمناوى الناوي الآن الأذى
 له صوارم لو ناجتك ألسنها

لم يسمعوا كلمة منه سوى نعم
 لم يبصروا غير وجه منه مبتسم
 كما تبين سمات الصدق في الكلم
 في نيلها راحة الشاكي من العدم
 أيام لا فرض مفروض يلتزم
 وفي سخاء وفي علم وفي فهم
 وامتاز عن قائم منهم ومعتصم^(٣)
 محبة العلم أزرى بابنه الحكم^(٤)
 متى يسرم جزمها بالحذف تنجزم
 للمتنب اللهم المجر ملتقم^(٥)
 مثل الأحاديث عن عاد وعن إرم
 بكل قرم إلى لجمانهم قرم^(٦)
 لسائرون إلى لقم على لقم
 بسعيه نحو حتفي قد أراق دمي
 يا غر غرك ما أبصرت في الحلم
 لبشرتك بعمر منك منصرم

١ - العفاة طلاب المعروف السائلون أو الضيوف النازلون .

٢ - تلك ألقاب ملكية وخليفية عامة لا يريد بها بالذات أحداً .

٣ - يريد الناصر لدين الله عبد الرحمن الأموي وابنه الحكم المستنصر .

٤ - وفي كلمة أفعال وغيرها من المصطلحات الصرفية هنا تورية .

٥ - المتنب واللهم والمجر كلها بمعنى الجيش العظيم الجرار .

٦ - اللجب الجيش العظيم القرم بفتح القاف وسكون الراء سيد القوم والقرم بفتح القاف وكسر الراء شديد الشهوة لكل اللحم .

وإن روحك عن قرب سيقبضه
فهو الذي ماله ند يشابهه
يدبر الأمر تدبيراً يخلصه
ويبصر الغيب لحظ ذهن منه إذا
وينعم النظر المفضي بناظره
ذو منطق لم تزل تجلو نتائج
ومسمع ليس يصفى للوشاة فلم
فعقله لا توازيه العقول وهل
إليه جميع الورى من بدو أو حضر
شدوا وجدوا ولا تعنوا ولا تهنوا
هذا الأمير^(٣) المرينى السعيد له
قد أقسمت أنه المنصور السنة
فشيعوه ووالوه تروا عجا
والحمد لله إذ أبقي خلافته
حرز حرز وعز قائم وندى
دامت ودام لها سعد يساعدها

قبض المسلم ما قد حاز من سلم
من كل متصف بالدهى متم
مما عسى أن يرى فيه من الوهم
تعمى عن إدراكه الحاظ كل عم
لصوب وجه صواب واضح اللقم^(١)
عن مبطل بخصام المبطل الخصم
ينفسق لديه الذى عنهم إليه غنى
يسوازن الطسود ما قد طال من أكم
نداء مرتباً بالنصح مرتسم
قد لفها الليل بالسواقة الحطم^(٢)
سعد يؤسده في كل مصطدم
من نخبة الأوليا مبرورة القسم
وتظفروا مسعياً بالأجر والغنم
كهف لنا من يخيم فيه لم يرم
غمردراك بلا من ولا سام
في كل مبتدأ منه ومختتم

١ - أنعم النظر : بققه - واللقم وسط الطريق .

٢ - العظم الشديد السوق .

٣ - وهو الشيخ الوطاسي حاكم فاس المغرب الذى يمنحه العقيلي .

فَاللَّهُ - عز اسمه - قد زانها بحلي
السواهب الألف بعد الألف من ذهب
والفاعِل الفعل لم يهتم به أحد
ذاكم هو الشيخ فاعجب إنه هُرم
وحسبنا أن أيدينا به اعتصمت
فما محالفه يوماً بمضطهد
ولا موافيه في جهدٍ بطرح
ولا محباً محبيه بمنكسف
وما تكرمه سراً بمنكشف
وليس لامح مرآه بمكتتب
ولا مقبل يمناء الكريمة في
وما وسبلتنا العظمى إليه سوي
وإنما هي وما أدراك ما هي من
نبينا المصطفى الهادي بخير هدى
داعي الوري من أولي خيم وأهل قري
عليه منا صلاة الله ما ذكرت
وما تشفع فيها بالشفيع له

من غراًمداحه كالدر في النظم
كالجمر يلمع في مستوقد الضرم
والقائل القول فيه حكمة الحكم
جواد وحاشاه أن يعزي إلي هُرم
من حبسه وثيق غير منفصم
ولامؤالفه يوماً بمهتضم
ولا مصافيه في ود بمتهم
ولا رجاء مرجيه بمنخرم^(١)
ولا تنكره جهراً بمكتم
وليس راضع جدواه بمنفطم
محل محتين بل دست^(٢) محترم
ما ليس ينكر ما فيها من العظم
وسيلة ردها أدهى من الرضم^(٣)
محمد خير خلق الله كلهم
إلى طريق رشاد لا حُب أمم
«أمن تذكر جيران بذي سلم»^(٤)
دخيل حرمة العلبياء في الحرم

١ - المنخرم من الانخرام وهو الانشقاق والانقطاع.

٢ - كذا في المراجع ولعلها كلمة فارسية ومعناها اليد وهنا ترادف المحل والمكانة.

٣ - الرضم جمع رضة وهي الصخرة العظيمة.

٤ - الشطر الثاني من مطلع البردة للبوصيري رحمه الله.

ومن رثاء غرناطة قول الشيخ الدقون

الحمد لله على كل حال، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله خير آل. أما بعد :
فيقول خديم أهل الله تعالى، عبيد الله أحمد بن محمد الأندلسي، الشهير بالدقون، لطف الله به
بمنه وكرمه:

إنه لما غابت شمس الجزيرة الخضراء، بأخذ الحمراء؛ قرعت باب الندبة، لما تقدم من الصحبة؛ فقلت
أبياتا صدرت من قلب كئيب، مبكية كل لبيب أريب؛ وسميتها بالموعظة الغراء، بأخذ الحمراء، مبيحا
لمن رغب فيها، ولم يرغب عنها، أو استحسنا شيئا منها، أن يحدث بها عني؛ وذلك بعد إتقان لفظها
وحفظها، وفهم وعظها ولحظها؛ وإن كنت لا أحسن أن أقول، وربما أعزى بها إلى الفضول؛ لكنني لا
أعدم المثيل، وفي مثل هذا قيل: ^(١)

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

والله حسبي وعدتي، وهو مقبل عثرتي، وهذا مطلع صباحها، ومنبع افتتاحها ^(٢):

(البسيط)

أمنت من عكس آمال وأحوال	وعشت ما بين أعمام وأخوال
ولا ابتليت بما فى القلب من نكد	فالجسم مشغول من غير أشغال ^(٣)
وكيف لا ويقاع الدين خالية	من أرض أندلس من أجل أهوال
عمت فغمت قلوب المسلمين فيا	للمسلمين من أعداء وأنكال
جاشت بها من جيوش الكفر ما درست	بهم معالم أخبار وأقبال ^(٤)
أهل الشجاعة أهل العلم أهل تقى	أهل النفاسة فى قول وأفعال

٢ - تخریج: أزهار الرياض ١٠٥/١

٣ - النكد: الشحیح، القليل النفع المشنوم.

٤ - الأقبال جمع قبيل وهو الملك ولقب به ملوك اليمن.

عنهم وفيهم أحاديث النبي بدت
 رهبان ليل وفرسان النهار فمن
 لا عيب فيهم سوى أن المضاف لهم
 فهل ترى بعد هذا النفس سائلة
 تالله لا زال ما في القلب من أسف
 أو يفتح الله في نصر يمن به
 قد رام إطفاء نور الله مجتهدا
 سطا بجيش كموج البحر في عدد
 مؤيدا باجتماع المصر يتبعه
 يسبى المسامع بالأنفاض مشبهة
 يبنى ليهدم ما الإسلام شيده
 فهو المقاتل في الأبراج منتقل
 فاستوطن المرج لا ينوى الرحيل ولا
 والمسلمون من الأضغان قد ملئت
 والحق مختلف والحق مؤتلف
 وهم لئديه كطير وهو ينتفه

وهم معاقل قول الله للتالي
 يلهم بساحتهم يظفر بآمال
 يسلو عن أهل وأوطان وأموال^(١)
 وكيف تسأل عن وصف وعن حال
 ولو أكون حليف المنزل الخالي
 فالله باق يبقى من كل محتال
 وبأذ لا كل ما قد حاز من مال
 نعم، وفي عدد من رهط أبطال
 شر الخلائق مسرورا بإقبال
 وقع الصواعق في هد وزلزال^(٢)
 والوصف يعجز من يدعى بقلقال^(٣)
 إلف النحوس وتغيير وترحال
 يخشى المغيث بسهل أو بأجبال
 قلوبهم وأبوا تشديد أخلال^(٤)
 والكل منصر عن نصر أبطال
 والطير يسرجو البقا مع كيد قتال

١ - المضاف الضيف النازل.

٢ - الأنفاض جمع نفض وهو ما تساقط حول الشجر من الوريق والشعر.

٣ - القلقال القصيح اللسن.

٤ - الأخلال جمع الخلل وهي الثغرة.

إذا تجرد من ريش يطير به
سدوا مسالك أرزاق ومنفعة
ثم استغاثوا: ألا فرسان عادية
والصيف ضيعت ما أملت من لبن
وارحل بنحلك نحو الغرب في كرم
فاستمكن الرعب في الأكباد واتفقت
واحتل غرناطة الفراء قد عدمت
كأنها الشمس في أفق العلى كسفت
وهل تعود ليال قد سلفن بها
وهل يعود لها الدين الذي أنست
فأصبحوا لا تسرى إلا مساكنهم
قد فرقوا كسببا في كل منزلة
فلا المساجد بالتوحيد عامرة
ولا المنابر للوعاظ بارزة
ولا المكاتب بالصبيان آنسة
آه على الدين والدنيا وما نفعت

أضحى يدافع عن روح بأوصال^(١)
كدودة القز في نسج لسريال
قال الصدى: لست ذا رمح ونبال
ففارق الجبجج من تدخين نحال^(٢)
من قبل وضعك في قيد وأغلال
بعد اختلاف على تأمين أروال
حب الحصيد ونصر الله والآل^(٣)
فهل على طلل ترمى بأبطال؟
ونحن لا نشتكى تنكيد ضلال؟
به وقد أيسر من فتح أبدا
كمثل عاد وما عاد بأشكال
وقد سبا عده من أيد أو عال^(٤)
إذا عمرها بناقوس وتمثال
للأمر والنهي أو تذكير آجال
تتلو القرآن بسأسحار وأصال
آه إذا صدرت من قلب بطل^(٥)

١ - الأوصال جمع وصل أي المفاصل أو مجتمع العظام وكل عظم على حدة لا يكسر ولا يوصل به غيره.

٢ - من قولهم: الصيف ضيعت اللبن، والجبجج خلية الخ والنحال العسال.

٣ - من تقاليد المغاربة أنهم يستنصرون بالأبدال والأولياء عندما تشتد الخطوب والأزمات.

٤ - الأوصال: جمع وصل وهو تيس الجبل.

٥ - من البطالة وهي التعطل عن العمل.

إنا إلى الله والرجعى له وبه
 وكان ما كان والألطاف شاملة
 فلنكرم الآن من ينزل بمنزلنا
 وإذا ولا قدرة تدنى المنى فلهم
 نلقاهم ولنا بشر ومعة
 ولا نذد عن ورود الحوض وارده
 إخوانكم رفعوا أيدى الضراعة مع
 وقل لوال تطف فى مغارمهم
 هذا النذير جهارا جاء ينذرنا
 ونحن فى غفلة عما يراد بنا
 يا أهل فاس أما فى الغير موعظة
 فقل تعالوا إلى نصيح وتذكرة
 كيف الحياة إذا الحيات قد نفحت
 ولا سبيل إلى الترياق غير تقى
 والأخذ بالجد فى جمع القلوب على
 والزهد فى هذه الدنيا وزخرفها

تعلق القلب فى تصحيح إلال
 لاحتبنا قلقتنا وانوا أطفال
 فالدهر ذودول فاسمع لأمثال
 حق الجوار ولا توصف بإهمال
 ورحمة يا حماة العم والخال
 ولا ندع قول ذى نصيح وإجمال
 كسر القلوب فلا يلقوا بإخمال
 يلطف بك الله إذ تدعى لأحمال
 والأذن فى صمم عن قيل أو قال
 نمشى على مهلة من طول إهمال
 إن السعيد لموعوظ بأمثال
 فالأمر جد فلا تصحب لمكسال
 على السواحل أو همت بإرسال
 والحزم فى سعة من قبل إعجال
 بذل النصيحة أو إبراء أذخال
 والأمر بالعرف مع تحسين مقوال

ولا نرم في أمان الروم منزلة
فمن يبت في أمان الكلب منتصبا
وارباً بنفسك عن أرض تهان بها
فالموت عندي خير من حياة فتى
والهجرة الآن قد عادت كما سبقت
واحتل بذهنك ولتسمع نصائح من
في صدر سبع الكلب على التسعين^(١) زائدة
وبلغ الكلب ما قد شاء من أرب
ليقضى الله أمراً كان قدره
وقد وعظت ولو أسمعت لانتشرت
فليشتغل كل مسكين بمهجته
ثم الصلاة على المختار سيدنا

خوفاً على الدين أو بعداً من انزال
لسخط مولى ولا عذر بأثقال
فحيثما كنت لا تخشى من اقلال
قد اكتسى بعد عز ثوب إذلال
فافهم تفاصيل أقوال وإجمال
قد طب من حب لم يوصف بمحتال^(٢)
شمس الجزيرة غابت بعد إكمال
إذ لم يجد ذائداً عن ديننا الغالى
والأمر لله في قول وأفعال
سحاب الدمع لم تقلع عن انزال
والله يحفظنا من كل مهوال
محمد والرضا عن آل أو تالى

١ - ومن أمثالهم : اصنعه صنعة من طب لمن حب أي صنعة حانق لمن يحبه .

٢ - إشارة إلى اليوم الذي فيه سقطت غرناطة وتم جلاء العرب عن الأندلس .

وقال بعضهم يندب المسلمين المضطهدين بعد سقوط غرناطة
ويستغيث بالسلطان العثماني أمير المؤمنين بايزيد خان

ومما كتبه بعض أهل الجزيرة بعد استيلاء الكفر على جميعها للسلطان بايزيد خان العثماني ،
رحمه الله ، ما نصه بعد سطر الافتتاح ^(١)

أخص به مولاي خير خليفة	سلام كريم دائم متجدد
ومن ألبس الكفار ثوب المذلة	سلام على مولاي ذي المجد والعلو
وأيده بالنصر في كل وجهة	سلام على من وسع الله ملكه
قسطنطينة أكرم بها من مدينة	سلام على مولاي من دار ملكه
بجند وأتراك من أهل الرعاية	سلام على من زين الله ملكه
وزادكم ملكاً على كل ملة	سلام عليكم شرف الله قدركم
من العلماء الأكرمين الأجلة	سلام على القاضى ومن كان مثله
ومن كان ذا رأى من أهل المشورة	سلام على أهل الديانة والتقى
بأن تدلس بالغرب في أرض غربة	سلام عليكم من عبيد تخلفوا
وبحر عميق ذو ظلام ولجة	أحاط بهم بحر من الروم زاخر
مصاب عظيم يال لها من مصيبة	سلام عليكم من عبيد أصابهم

سلام علیکم من شیوخ تمزقت
 سلام علیکم من وجوه تکشفت
 سلام علیکم من بنات عواتق
 سلام علیکم من عجائز اکرهت
 نقبل نحن الكل أرض بساطکم
 أدام الإله ملککم وحياتکم
 وأیدکم بالنصر والظفر بالعدا
 شکونا لکم مولای ما قد أصابنا
 غدرنا ونصرنا ویدلديننا
 وکننا علی دین النبی محمد
 ونلقى أمورا في الجهاد عظیمه
 فجاءت علينا الروم من كل جانب
 ومالوا علينا كالجراد بجمعهم
 فکنا بطول الدهر نلقى جموعهم
 وفرسانهم تزداد في كل ساعة
 فلما ضعفنا خیموا في بلادنا

شیوہم بالستف من بعد عزة
 علی جملة الأعلاج من بعد سترة
 يسوقهم اللبساط قهراً لخلوة^(۱)
 علی أكل خنزير ولحم لجيفة
 وندعولکم بالخبر في كل ساعة
 وعافاکم من كل سوء ومحنة
 وأسکنکم دار الرضا والكرامة
 من الضر والبلى وعظم الرزية
 ظلمنا وعملنا بكل قبيحة
 نقاتل عمال الصليب بنية
 بقتل وأسیر ثم جوع وقلة
 بسيل عظیم جملة بعد جملة
 بجد وعزم من خيول وعدة
 فنقتل فيها فرقة بعد فرقة
 وفرساننا في حال نقص وقلة
 ومالوا علينا بلدة بعد بلدة

۱ - اللباط : رجال الدين المسيحي وفيه إشارة إلى اضطهاد المسلمين على أيدي محاكم التفتيش ...

وجاءوا بأنفراط عظام كثيرة
وشدوا عليها في الحصار بقوة
فلما تفانت خيلنا ورجالنا
وقلت لنا الأقوات واشتد حالنا
وخوفنا على أبنائنا وبناتنا
على أن نكون مثل من كان قبلنا
ونبقى على أذاننا وصلاتنا
ومن شاء منا البحر جاز مؤمنا
إلى غير ذاك من شروط كثيرة
فقال لنا سلطانهم وكبيرهم
وأبدي لنا كتاباً بعهد وموثق
فكونوا على أموالكم ودياركم
فلما دخلنا تحت عقد ذمامهم
وخان عهداً كان قد غرنا بها
وأحرق ما كانت لنا من مصاحف
وكل كتاب كان في أمر ديننا

تهدم أسوار البلاد المنيعة^(١)
شهوراً وأياماً بجد وعزيمة
ولم نر من إخواننا من إغاثة
أطعنهم بالكفره خوفاً للفضيحة
من أن يؤسروا أو يقتلوا شر قتلة
من الدجن من أهل البلاد القديمة
ولا نترك شيئاً من أمر الشريعة
بما شاء من مال إلى أرض عدوة
تزيد على الخمسين شرطاً بخمسة
لكم ما شرطتم كاملاً بالزيادة
وقال لنا هذا أمانى وذمتى
كما كنتم من قبل دون أذية
بدا غدرهم فينا بنقض العزيمة
ونصرنا كرهنا بعنف ووسطوة
وخلطها بالزبل أو بالنجاسة^(٢)
ففي النار ألقوه بهزء وحقرة

١ - أنفاط : أسلحة الهمم والتدمير كالمداقع والمناجق .

٢ - الزبل : بكسر الزاي وسكون الباء : السرجين وما أشبه ذلك .

ولم يتركوا فيها كتاباً لمسلم
ومن صام أو صلى ويعلم حاله
ومن لم يجئ منا لموضع كفرهم
ويلطم خديده يأخذ ماله
وفي رمضان يفسدون صيامنا
وقد أمرونا أن نسب نبينا
وقد سمعوا قوماً يفتنون باسمه
وعاقبهم حكاهم وولاتهم
ومن جاء الموت ولم يحضر الذي
ويترك في زيل طريحاً مجدلاً
إلى غير هذا من أمور كثيرة
وقد بدلت أسماؤنا وتحولت
فأهاً على تبديل دين محمد
وأهاً على أسمائنا حين بدلت
وأهاً على أبنائنا وبناتنا
يعلمهم كفراً وزوراً وفرية

ولا مصحفاً يخلي به للقراءة
ففى النار يلقوه على كل حالة
يعاقبه اللباط شر العقوبة
ويجعله فى السجن فى سوء حالة
بأكل وشرب مرة بعد مرة
ولا نذكرنه فى رخاء وشدة
فأدركهم منهم أليم المضرة
بضرب وتفرم وسجن وذلة
يذكرهم لم يدفنوه بحيلة
كمثل حمار مبيت أو بهيمة
قباح وأفعال غزار ردية
بغير رضا منا وغير إرادة
بدين كلاب الروم شر البرية
بأسماء أعلاج من أهل الغباوة
يروحون للباط فى كل غدوة
ولا يقدروا أن يمنعوهم بحيلة

وَأَهْأَ عَلَى تِلْكَ الْمَسَاجِدِ سَوْرَتِ
وَأَهْأَ عَلَى تِلْكَ الصَّوَامِعِ عَلِقْتَ
وَأَهْأَ عَلَى تِلْكَ الْبِلَادِ وَحَسَنَهَا
وَصَارَتْ لِعِبَادِ الصَّلَيبِ مَعَاقِلًا
وَصَرْنَا عَبِيدًا لَا أَسَارَى فَنَفْتَدِي
فَلَوْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ وَمَا صَارَ حَالُنَا
فِيَا وَيْلُنَا، يَا بؤْسَ مَا قَدْ أَصَابَنَا
سَأَلْنَاكَ يَا مَوْلَايَ بِاللَّهِ رَبَّنَا
وَيَالسَّادَةِ الْأَخْيَارِ آلَ مُحَمَّدٍ
وَيَالسَّيِّدِ الْعَبَّاسِ عَمِ نَبِينَا
وَيَالصَّالِحِينَ الْعَارِفِينَ بِرَبِّهِمْ
عَسَى تَنْظُرُوا فِينَا وَفِي مَا أَصَابَنَا
فَقُولْكَ مَسْمُوعٌ وَأَمْرٌكَ نَافِذٌ
وَدِينُ النَّصَارَى أَصْلُهُ تَحْتَ حُكْمِكُمْ
فَبِاللَّهِ يَا مَوْلَايَ مَنْوَا بِفَضْلِكُمْ
فَأَنْتُمْ أَوْلُو الْإِفْضَالِ وَالْمَجْدِ وَالْعِلَا

مَزَابِلِ الْكَفَّارِ بَعْدَ الطَّهَارَةِ
نَوَاقِيسِهِمْ فِيهَا نَظِيرُ الشَّهَادَةِ
لَقَدْ أَظْلَمْتَ بِالْكَفْرِ أَعْظَمَ ظُلْمَةً
وَقَدْ أَمْنُوا فِيهَا وَقُوعَ الْإِغَارَةِ
وَلَا مُسْلِمِينَ نَسْطِقُهُمْ بِالشَّهَادَةِ
إِلَيْهِ لِحَادَاتِ بِالْدمِ مَوْعِ الْغَزِيرَةِ
مِنَ الضَّرِّ وَالْبَلْوَى وَثُوبِ الْمَذَلَّةِ
وَيَا الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارَ خَيْرَ الْبَرِيَّةِ
وَأَصْحَابِهِ أَكْرَمَ بِهِمْ مِنْ صَحَابَةِ
وَشَيْبَتِهِ الْبَيْضَاءِ أَفْضَلَ شَيْبَةِ
وَكُلِّ وَلِيٍّ فَاضِلٍ ذِي كَرَامَةٍ
لَعَلَّ إِلَهَ الْعَرْشِ يَأْتِي بِرَحْمَةٍ
وَمَا قَلَّتْ مِنْ شَيْءٍ يَكُونُ بِسُرْعَةٍ
مِنْ ثَمَّ يَأْتِيهِمْ إِلَى كُلِّ كُورَةٍ
عَلَيْنَا بِرَأْيٍ أَوْ كَلَامٍ بِحُجَّةٍ
وَعُوثُ عِبَادِ اللَّهِ فِي كُلِّ آفَةٍ

فصل بابهم^(١) أعنى المقيم برومة
وما لهم مالوا علينا بغدرهم
وجنسهم المغلوب في حفظ ديننا
ولم يخرجوا من دينهم وديارهم
ومن يعط عهداً ثم يغدر بعهد
ولا سيما عند الملوك فإنه
وقد بلغ المکتوب منكم إليهم
وما زادهم إلا اعتداءً وجراً
وقد بلسفت أرسال مصر إليهم
وقالوا لتلك الرسل عنا باننا
وساقوا عقود الزور من أطاعهم
لقد كذبوا في قولهم وكلامهم
ولكن خوف القتل والحرق ردنا
ودين رسول الله ما زال عندنا
ووالله ما نرضى بتبديل ديننا
وإن زعموا أننا رضينا بدينهم

بماذا أجازوا الغدر بعد الأمانة؟
بغير أذى منا وغير جريمة
وأمن ملوك ذى وفاء أجلة
ولا نالهم غدر ولا هتك حرمة
فذاك حرام الفعل في كل ملة
قبیح شنيع لا يجوز بوجهة
فلم يعلموا منه جميعاً بكلمة
علينا وإقداً ما بكل مساءة
وما نالهم غدر ولا هتك حرمة^(٢)
رضينا بدين الكفر من غير قهرة
ووالله ما نرضى بتلك الشهادة
علينا بهذا القول أكبر فرية
نقول كما قالوه من غير نية
وتوحيدنا لله في كل لحظة
ولا بالذى قالوا من أمر الثلاثة
بغير أذى منهم لنا ومساءة

١ - بابهم : أي بابا المسيحيين ويريد به البابا رئيس الدين المسيحي في الفاتيكان .

٢ - أرسال مصر : أي رسلها جمع رسول وأهل مصر كانت قد أرسلت لهم مساعدة في تلك الساعة الحرجة .

ففسل وحرا عن أهلها كيف أصبحوا
وسل بلفيقا عن قضية أمرها
ومنيافة بالسيف مزق أهلها
وأندرش بالنار أحرق أهلها
فها نحن يا مولاي نشكو إليكم
عسى ديننا يبقى لنا وصلاتنا
والا فيجلونا جميعاً من أرضهم
فاجلاؤنا خير لنا من مقامنا
فهذا الذي نرجوه من عز جاهكم
ومن عندكم نرجو زوال كروينا
فأنتم بحمد الله خير ملوكنا
فنسأل مولانا دوام حياتكم
وتهدين أوطان ونصر على العدا
وثم سلام الله تتلوه رحمة

أسارى وقتلى تحت ذل ومهنة
لقد مزقوا بالسيف من بعد حسرة
كذا فعلوا أيضاً بأهل البشارة
بجامعهم صاروا جميعاً كفحة^(١)
فهذا الذي نلناه من شر فرقة
كما عاهدونا قبل نقض العزيمة
بأموالنا للغرب دار الأحبة
على الكفر في عز على غير ملة
ومن عندكم تقضى لنا كل حاجة
وما نالنا من سوء حال وذلة
وعزتكم تعلو على كل عزة
بملك وعز في سرور ونعمة
وكثرة أجناد ومال وثروة
عليكم مدى الأيام في كل ساعة

١ - وحرا ولفيقا ومنيافة والبشارة وأندرش : أسماء مدن وقرى كانت لمملكة غرناطة .

طبع على نفقة الثور فيبركس فيصل آباد